المليون الضائع

بقلم

ادجار والاس

روايات الهلال ٨ قروش روائع القصص العالمى



الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة ، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل وسيطرة العادة ، والتبجيل المفرط لمفكري الماضي
إن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

حصريات مجلة الابتسامة

** شهر يوليو 2018 **

www.ibtesamah.com/vb

التعليم ليس استعداداً للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي

روايات الهلال

REWAYAT AL-HILAL

تصدر عن (دار الهلال) شركة مساهمة مصرية

رئيس التحرير : طاهر الطناحي

العدد ١١٤ * يونيو ١٩٥٨ * ذو القعدة ١٣٧٧

No. 114 — Juin 1958

بيانات ادارية

ثمن العدد فى مصر والسودان ٨٠ مليما ــ فى الاقطار العربية عن الكميات المرسلة بالطائرة : فى سوريا ١٠٠ قرش سورى ــ فى لبنان ١٠٠ قرش لبنانى ــ فى الاردن ١٠٠ فلس ــ فى العراق ١٠٠ فلس

الاشتراك السنوى (١٢ عددا) ــ مصر والسودان ٨٥ قرشا صاغا ــ سوريا ولبنان (بالطائرة) ١٠٧٥ قرشا سوريا لبنانيا ــ (بالبريد البحرى) ــ السعودية والعراق والاردن وليبيا ١١٠ قروش صاغ ــ الاميركتين ٥ دولارات ــ سائر أنحاء العالم ١٥٠ قرشا صاغا

طريقة الدفع

فى جمهورية مصر : بموجب أذونات أو حوالات بريدية أو شيكات ــ **فى السودان :** بموجب حوالات بريدية أو شيكات **فى الخارج :** بموجب حوالة نقديه (Money Order) أو حوالة مصرفية (شيك) على أحد بنوك القاهرة ــ وقيمة الاشتراك ترسل مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال أو الى أحد وكلائنا ــ ولا يمكن قبول أذونات البريد أو اوراق البنكنوت

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب بك ــ القاهرة

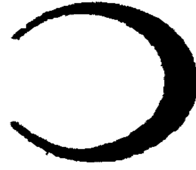
المكاتبات : روايات الهلال ــ بوستة مصر العمومية ــ مصر

التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاعلانات : يخاطب بشأنها قسم الاعلانات بدار الهلال

روايات الهلال





مجلة شهرية لنشر القصص العالمي

المليُون الضّائع

قصة بوليسية من أروع القصص العالمى



تأليف

ادجار والاس



مؤلف الرواية

كان « ادجار والاس » ثالث ثلاثة من المؤلفين الانجليز عقد لهم لواء الزعامة فى كتابة القصص البوليسية خلال القرن الماضى ، والآخران هما : « سير ارثر كونان دويل » مبتكر شخصية شرلوك هولمز ، و « وليم ليكيه » الذى كشف بقصصه عن كثير مما غمض من نشاط جواسيس الالمان فى انجلترا ، وشرح وسائل حياتهم وأساليبهم فى التغلغل بين الناس والحصول على كل البيانات النافعة لبلادهم

وقد امتاز ادجار والاس مؤلف هذه القصة ببراعته التى لاتجارى فيما يبتكره من ألغاز طريفة تحفل بها قصصه ، حتى أنه لا يختم فصلا من احداها الا على حادث جديد ، يضيف به لغزا الى ألغازها، ويحبس أنفاس قارئه شوقا الى معرفة النتيجة ويندر أن تتضح هذه النتيجة الا فى الاسطر القليلة الاخيرة من القصة ...

ومن عجيب أمر هذا المؤلف القصصى العبقرى أنه بدأ حياته بائع صحف ، ثم دفعه حبه للبحث والاطلاع الى ترك بيع الصحف ، ليعمل طاهيا فى احدى البواخر حيث أتيح له ان يزور بلادا كثيرة مختلفة، وأن يدرس عن كثب حياة أهلها

على أنه ما لبث قليلا حتى مل حياة التجوال فى البحار ، فعاد الى الاقامة بوطنه الاول حيث عمل بائعا للبن، يحمله الى عملائه مرة كل صباح ، ولبث كذلك حتى قامت حرب البوير فتطوع للعمل جنديا فى الجيش الانجليزى ، وهناك فى جنوب أفريقا بدأت مواهبه تظهر وتوجه الوجهة الصحيحة للقيام بدوره الاكبر فى الحياة وتأديته رسالته الخالدة . فاشتغل الى جانب عمله فى الجيش بمراسلة بعض الصحف الانجليزية وكان أول ما خطه قلمه رسائل ضمنها أخبارا

عن حرب البوير ، وعن أبنـــاء تلك البلاد الذين كانوا يفضلون الموت على الاستسلام للانجليز

ولفت نشاطه أنظار أصحاب صـحيفة « الديلى ميل » فاختاروه مراسلا خاصا لصحيفتهم فى ذلك الميدان الحربى ٠ ومن هنــاك عاد الى لندن رئيسا لتحرير تلك الصحيفة الكبرى ٠٠٠

وكان قد بدأ وهو فى جنـوب أفريقا كتابة أول قصـــة له وهى « شريعة الاربعة العدول » ٠ فلما أتمها بلغ من اعجابه بها أنه قرر نشرها لحسابه ، ورسم لها خطة دعاية كبيرة ، لم تلبث أن استنفدت كل المال الذى ادخره من أعماله السابقة ، وعندئذ عرض أمر القصة على أصـــحاب « الديلى ميـــل » ومدير تحريرها المستر « ألفرد هارمزوورث » ـ الذى أصبح فيما بعد « لورد نورثكليف » عميـــد الصحافة البريطانية ـ فأعجب بالقصة وقدم لكاتبها ألف جنيـــه يستعين بها على اتمام نشرها ، ونفدهذا المبلغ أيضا واضطر«والاس» آخر الامر الى بيعها لاحدى دور النشر بما يساوى ما أنفقــه عليهــا مضافا اليه ٧٥ جنيها !

وابتسم له الحظ منذ ذلك التاريخ فانتقل من الفقر المدقع الى الغنى الفاحش حتى لقد بلغ دخله السنوى من رواياته زهاء خمسين ألف جنيه ، ولكنه كان كريما مسرفا فى كرمه حتى كان يبلغ به الامر الى الاقتراض بين رواية ورواية

وكان « ادجار والاس » غـزير الانتاج الى حد تعــذر معه احصاء عدد ما كتبه من القصص ، وكانت سرعته فى كتابة القصة موضـــع التندر لدى أصدقائه ومن ذلك ماذكره أحـدهم من أنه طلبه يوما بالتليفون فاعتذر له ســكرتيره الخاص بأنه بدأ منــذ هنيهــة كتابة قصة جـديدة ، فرد الصـديق على الســكرتير قائلا : « حسنـــا ! سأنتظره هنيهة أخرى ريثما يتم قصته ! »

وقد أخرجت له احدى دور النشر وهى التى نقلنا عن طبعتها هذه الترجمة ما يربو على أربعين قصة

وفى سنة ١٩٣٢ سافر الى هوليوود للاتفاق على اخراج احــدى رواياته على الشاشة البيضاء ، ولكن المنية عاجلته قبل اتمام الاتفاق

شخصيات الرواية

جيمي سيبنج « Jimmy Sepping » : مفتش بوليس بادارة اسكتلانديارد

بيل ديكر « Bill Dicker » : زميل لجيمي سيبنج فى اسكتلنديارد

جو ميللر « Jeo Miller » : زميل آخر لجيمي سيبنج فىاسكتلانديارد

ركس والتون « Rex Walton » : مليونير شاب

جوان والتون « Joan Walton » : أخت المليونير الشاب

دورا كولمان « Dora Coleman » : خطيبة الشاب ركس والتون

المستر كولمان « Mr. Coleman » : موظف عجوز بوزارةالمالية الانجليزية

نيبى كاولز « Nippy Knowls » : لص خزائن معروف

كوبى « Kupie » : اسم مستعار لرئيس العصابة

باركر « Parker » : الساقى فى منزل المستر كولمان

ويليامز ويلز « William Wells » : خادم خاص لركس والتون

لوفورد كوليت « Lawford Collett » : محام وابن أخى المستر كولمان

بنيت « Bennett » : سائق سيارة المستر كولمان

الفصل الأول

تهديد

قال حارس برج لندن للمفتش جيمي سيبنج :

ــ لماذا القيت بهذه الزهرات على الأرض ياسيدى ؟

فاضطرم وجه المفتش خجلا ، ونظر فى اضطراب الى زهرات البنفسج الثلاث التى كان قد ألقاها على الأرضية المرصوفة ، ولم يكن يبدو عليه أنه مفتش مباحث بادارة اسكتلانديارد ، اذ كانت امارات الشباب المرتسمة على وجهه تجعله يبدو أصغر من أن يظفر بهذا المنصب الكبير ، وانما كان أقرب الشبه بشاب رياضى من شباب المجتمع

ثم قال للحارس (الذى انحنى ليلتقط الزهرات من الارض) :

ــ لا ، لاتلق بالزهرات بعيدا الا اذا كان وجودها هنا مخالفا للقانون الخاص ببرج لندن ، انها تبدو فى هذا المكان جميلة ، أليس كذلك ؟

فداعب حارس البرج ذو الملابس التاريخية التقليدية لحيتـــه بأصابعه ، ثم نظر فى ريبة الى هذا الزائر ، ولـكن جيمى سيبنج لم يكن ساذجا ،فدس فى يده قطعة من النقود ، وفى الحال قال الحارس :

ــ لا يجوز لأحد أن يلقى قصاصات ورق هنا ، ولكن لا شىء عن الزهور ، شكرا ياسيدى ، يخيل الى أنى رأيتك فى ساحة البرج من قبل

فقال جيمى بصوت ممطوط غامض التعبير :

ــ نعم ، كنت هنا من قبل

وكان قد تعلم طريقته هذه فى الحديث فى جامعة اكسفورد التى تخرج فيها ، وكانت هذه الطريقة موضع تندر زملائه فى الفرقة التى

التحق بها أول عهده بخدمة البوليس ، أى عندما كان يرتدى زى الضباط ، ويقوم بواجباته فى السهر والحراسة ، مستعينا عليهمـا بترديد أبيات من الالياذة ليزود النوم عن أجفانه

وظلّ واقفا بجانب الزهرات الثلاث حتى ابتعد حارس البرج قليلا، وقد كان جيمى سيبنج انسانا عاطفيا ، فهو فى كل عام يأتى فى هذا الموعد ليلقى بثلاث زهرات فى الموضع الذى ابتسم فيه فرتز هوسمان الالمانى للسماء . وكان فرتز جاسوسا المانيا أوقع به جيمى وقدمه للمحاكمة ، وأدلى بشهادة كانت السبب فى اعدام فرتز رميا بالرصاص وقد كان فرتز باسما وهو مقاد الى ساحة الاعدام الواقعة أمام البرج وان جيمى ليذكره حين قال لضابط كتيبة الاعدام :

ـ هل تسمح لى بالتدخين ؟

فلما سمح له ، تناول لفافة تبغ من علبة سجائره المعدنية ، وفيما هو يعيدها الى جيب صديريته الأعلى ، ابتسم فى رفق وقال :

ـ آه ! أخشى أن تقف هذه العلبة فى طريق احدى الرصاصات

وبعد أن فرغ من تدخين سيجارته ، سار ، والابتسامة ما تزال على شفتيه ، الى ساحة الموت حيث مات ـ كما يتمنى جيمى لنفسه ـ ميتة الرجل الشجاع

وهكذا كان جيمى يأتى الى هذا المكان ، كل عام ، ليلقى بالزهرات الثلاث تخليدا لذكرى الشجاعة والرجولة ، شجاعة فرتز هوسمان

وبينما هذه الذكريات تمر بخاطـره سمع جيمى فجـأة صوتا نسائيا يهتف من ورائه :

ـ ها ! جيمى

واستـدار بسرعة حيث رأى فتـاة فى ريعان الشباب تنظر اليه فى مكر مقرون بالرقة واللطف ، فهتف وهو يمعن النظر فى عينيهـا الزرقاوتين وقوامها المشوق

ـ هاللو ، ها أنت قد عقصت شعرك ياجوان ؟

فقالت له فى عتاب وهى تهز رأسها :

ـ ليس من اللائق أن يعلق شاب على مظهر آنسة ، طبعـا عقصت شعرى ، ألم أبلغ الآن الثامنة عشرة ؟ ماذا تفعل هنا ؟

لم يكن قد رأى جوان والتون منذ عامين ، ومن ثم راعه التغيير الكبير الذى طرأ عليها ، كما يطرأ على كل فتاة فى مثل سنها . انه لم يكن يدرك من قبل مبلغ ماهى عليه من حسن وجمال ، وانما كان يشعر فقط انها ذات شخصية جذابة ، وثقة فى النفس تدعو أحيانا الى الابتسام

قال لها مراوغا :

ــ جئت للتفرج على جواهر التاج ومغارات السجن والبرج الذى قتل فيه الامير الصغير ، وكذلك لمشاهدة الحروف الاولى من أسم الليدى جين جراى التى حفرتها على الجدران قبيل اعدامها ، انى أحد الذين يشغفون برؤية مثل هذه الآثار التاريخية

فهزت رأسها وقالت :

ــ انني لا أصدقك ، فان أخى ركس يقول انك من أكثر النـــاس انشغالا فى لندن

ــ أخوك ركس ؟ أهو هنا ؟ !

ــ نعم ، وخطيبته دورا أيضا ، ولسوف يدعوانك لتناول طعـــام العشاء معنا فى ليلة من الليالى

فضحك جيمى فى رفق وقال :

ــ تعنين ليلة زفافه ؟ حسنا ، فى مساء يوم الثلاثاء . انى أراه فى هذه الايام كثيرا ، فماذا به ؟

وكانا يسيران فى ممر حول الفناء ، وفجأة استدارت جـــوان واتجهت الى مقعد يواجه سياج الساحة التى شهدت الكثيرين ممن دفعوا حياتهم ثمنا لخياناتهم أو تجسسهم ، ثم قالت :

ــ اجلس ، ان المصادفة هى التى جمعتنا اليوم ياجيمى

وبعد برهة من الصمت أردفت قائلة فى اهتمام :

ــ أترى ياجيمى أن لركس الحق فى الزواج هكذا سريعا بعد مصرع خطيبته السابقة ايدى ؟

ــ لست أدرى ، وعلى كل حال لقد مضى على مصرعها نحو عامين ، ومن غير المنتظر أن يظل ركس وفيا لذكراها مدى الحياة

فقطبت جوان مابين حاجبيها ، ولاحظ جيمى يديها تنقبضان فى عصبية وهى تقول :

ــ لماذا تعجز ياجيمى عن القبض على هذا الرجل الرهيب ؟ انه من العار أن يبقى مثل هذا المخلوق خارج جدران السجن ، ياللفظاعة !

ولم يقلْ جيمى شيئا ، وانما راح يفكر فى هذا المجرم المجهول الذى يوقع على رسائله التهديدية باسم « كوبى » والذى كان السبب المباشر فى انتحار الكثيرين ، الذين فضلوا الموت على الفضيحة ، وقد وجدت ايدى الحسناء فى اليوم السابق على زواجها بركس ميتة فى فراشها ، وبجانبها زجاجة من السم ، وبالقرب من سريرها ، على الارضية ، احدى رسائلْ « كوبى » النموذجية التى تكشف عن صفحة سوداء فى حياة ايدى لم يكن يعرفها أحد

وقال جيمى اخيرا فى هدوء لجوان :

ــ لقد بذلنا كل مافى وسعنا ، وان كوبى ليس مجرد كاتب رسائلْ تهديدية عادى ، انه أخطر من هذا بكثير ، لقد ابتز الاموال الطائلة من نصف رجال ونساء هذه المدينة ، انه رئيس عصابة وليست ايدى الا واحدة من ضحاياها اللاتى فضلن الانتحار وظلمة القبر على مواجهة الفضائح

ثم أردف قائلا ليغير موضوع الحديث :

ــ انك تحبين دورا ، خطيبة ركس الجديدة ، اليس كذلك ؟

فأومأت براسها قائلة :

ــ نعم ، وما كان ينبغى لى أن أفكر فى تأجيل الزواج . ان ركس يتبادل معها أعنف الحب ، وهو يحب ايضا والدها المستر كولمان ، ولكنى أشعر أنه يعانى من قلق شديد

وهنا أرسلت نظرة تحذير الى جيمى ، ذلك ان اخاها ركس كان فى تلك اللحظة مقبلا نحوهما ، وكانت معه فتاة يبهر جمالها الأبصار كانت ممشوقة القوام ، شقراء ، ذهبية الشعر ، رمادية العينين ، ناعمة البشرة بدون تجميل أو رتوش ، ونهض جيمى لاستقبالها مع ركس ، فلوحت بيدها اليه باسمة

وكان ركس والتون ، شقيق جوان ، شابا خمرى البشرة ، عريض المنكبين وقور السمات ، يكبر خطيبته بنحو ثمانية أعوام ، أى أنه فى مثل سن جيمى تماما . وقد كان الاثنان (ركس وجيمى) زميلين فى جميع المراحل الدراسية حتى تخرجا من جامعة اكسفورد وظلا

صديقين حميمين رغم الثروة الطائلة التى يمتلكها ركس والتى حرم من مثلها جيمى

قال ركس لصديقه :

ــ ماذا تفعل هنا بحق السماء ياجيمى ؟

فقالت جوان فى ضراعة مضحكة :

ــ لا تسأله يا ركس ، فقد تعود جيمى أخيرا على المراوغة فى الاجابة

فقالت دورا وهى تجلس :

ــ ولكنه سيلتزم الصراحة معى . اعتقد أن برج لندن من الاماكن الاثرية الرائعة وان كان التردد عليه يثير الملل ، ثم هناك مغارات السجن أيضا

فأسرع ركس قائلا :

ــ اذهبى مع جوان يادورا لمشاهدة هذه المغارات فانى أريد أن أتحدث مع جيمى على انفراد

وبعد انصراف الفتاتين قال ركس لصاحبه :

ــ لقد كنت فظا فى معاملتى لدورا هذا الصباح ، ولولا انها من أهدأ الناس أعصابا لانصرفت عنى الى بيتها غضبى . جيمى ، ان أعصابى متوترة ، وانى لأتمنى لو كان فى مقدورى أن أخبرك بكل شىء

ــ عن كوبى ؟

ــ نعم ، وعما هو أخطر من كوبى ، لقد كنت احمق غبيا ، ولكن لعلى لا أكون ، فلو أنى غبى لما التمست النصيحة منك . ومع ذلك فانى لا أستطيع أن أذكر لك كل شىء حتى لا أفشى أسرار غيرى

وكان ركس مزيجا من القوة والضعف ، كان وضوح نفسه نموذجيا ، وكانت شجاعته فى أثناء الحرب قد جعلته يرتقى الى رتبة « كولونيل » ، فضلا عما زين صدره من أوسمة ونياشين ، ولما كان الابن الوحيد لأحد ملوك صناعة الصلب ، فقد ورث ثروة طائلة تصل الى المليون من الجنيهات ، وكانت هذه الثروة ــ كما يعرف جيمى ــ من الاسباب الرئيسية لما يشعر به فى حياته من متاعب وقلق . فقد ورث ركس هذه الأموال دون أن يرث عن أبيه شيئا

من مواهبه العملية . وهكذا أصبح هدفا لكل أفاق ومحتال ، ولكل صاحب مشروعات خيالية ، ولكل بائس أو مصطنع للبؤس . وكان كل من عمل تحت رئاسته فى الجيش يظفر منه بمبالغ متفاوتة من المال فى مختلف المناسبات

قال له جيمى :

ـ هل أرسل اليك كوبى رسالة أخرى ياركس ؟

فتناول ركس من حافظته رسالة رمادية اللون ، قدمها الى جيمى قائلا :

ـ تسلمت هذه الرسالة هذا الصباح

وقرب جيمى الرسالة من انفه ، فاذا هى تنم عن هذه الرائحة المعروفة عن « كوبى » رائحة التبغ المزوجة برائحة عطر ، ولم يكن بها عنوان أو تاريخ ، وانما بها هذه العبارات فقط :

« اذا تزوجت من دورا كولمان ، فسوف ارغمك على التسول ، ومهما حاولت فانك لن تستطيع أن تنقذ أموالك من بين يدى . هذا هو التحذير الاخير »

فقال جيمى وهو يعيد الرسالة الى صاحبه :ـ

ـ انه لم يذكر شيئا عن دورا ، لم يهدد بنشر شىء عن ماضيها ، لانها ولاشك ذات ماض نظيف

ـ نعم ، ولكن مارأيك فى هذه الرسالة ؟

ـ تهديد أجوف ، فكيف يستطيع أن يظفر بثروتك ؟

فتململ ركس فى جلسته وقال :

ـ لقد اخذ ثروة بالمر كلها ، وكنت أتحدث هذا الصباح مع ... مع شخصية كبيرة تعرف الكثير عن هذا المجرم ، وقد طلب منى هذا الشخص الا أستهين بالامر

ـ من تعنى بهذه الشخصية ؟

ـ لا أستطيع أن أخبرك ، فقد نصحنى بألا ...

وتوقف ركس عن اكمال العبارة فسأله جيمى :

ـ هل هو رجل ذو مركز رسمى كبير ؟

ـ نعم احدى الشخصيات الكبيرة فى اسكتلانديارد

فأرسل جيمى صفيرا من بين شفتيه ، بينما أردف ركس قائلا بسرعة :

ـ كان ينبغى أن أستشيرك أنت أولا ، ولكننى التقيت بالرجل الكبير الآخر فى ظروف غريبة ، ولم يكن متلهفا على الحديث فى هذا الموضوع لانه ـ كما بدا ـ كان يخشى كوبى أيضا

فقال جيمى فى الحاح :

ـ من هو هذا الرجل ؟

ولكن ركس أبى أن يذكر اسمه

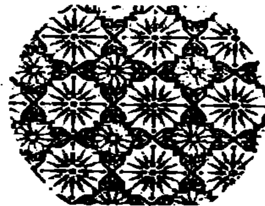
فعاد جيمى يقول :

ـ لا تهتم بهذه الرسائل ياركس فاننى أعتقد أن هـذه الرسالة هى العاشرة منذ اعلنت خطبتك على دورا ، أليس كذلك ؟ ان كوبى ذكى بارع ، ولكنه ليس بالقوة التى تتصورها عنه ، وان هناك أشياء لا يمكنه أن يقوم بها . قل لى هل تعرف دورا أمر هذه الرسائل ؟

ـ نعم ، وهى تتفق معك فى الرأى حول هذا الموضوع ، ولكنها احيانا تشعر بالفزع ، وهذا ما يؤلمنى ياجيمى ، ألا يستطيع رجال البوليس القبض على هذا الخنزير المجرم ؟ !

وظل جيمى صامتا برهة قبل أن يقول :

ـ انى مستعد لأن أدفع مبلغا كبيرا لاعرف اسم ضابط البوليس الكبير الذى نصحك بألا تستهين بأمر هذا المجرم كوبى



الفصل الثانى

انتحـــار

كانت الساعة الثانية تماما بعد الظهر عندما اجتمع « الثلاثة الكبار » بادارة اسكتلنديارد ، فى الغرفة رقم ٣٧٥ لمناقشة الارباح والخسائر خلال الاسبوع المنصرم ، وكان المفتش جيمى سيبنج أصغر هؤلاء « الثلاثة الكبار » سنا ، أما الآخران ، فكانا المفتش بيل ديكر ، والمفتش جو ميللر

جلس هؤلاء الثلاثة فى غرفة مطلة على شاطىء نهر التيمس ، يدخنون التبغ ، ويتبادلون الاحاديث فى شئون الادارة . وبعد فترة من الصمت تخللت الحديث قال المفتش ميللر ذو الرأس المستديرة الصلعاء :

ـ ماذا عن جريمة جرينتش ؟

فقال زميله ورئيسه ديكر بهدوئه المعتاد :

ـ لقد ثبت أن المجرم السارق هو هارى فيلد . ويحسن يا جيمى بهذه المناسبة أن تطالب بترقية الضابط الذى قدم التقرير عن هذه القضية ، لقد كان تقريرا انموذجيا ، وانه لمما يدعو الى العجب تخصص هؤلاء المجرمين فى السرقات ، فمثلا صاحبنا فيلد هذا ، انه لايسرق الا مقاطع الأقمشة ، واعتقد انه يعرف أين يبيعها سرا .

فقال جيمى :

ـ ألم تحول الينا جريمة القتل التى حدثت فى مقاطعة هيرتفورد ؟

فهز ديكر رأسه قائلا :

ـ لا ، ان رجال البوليس هنـاك لم يلتمسوا معونتنا ، وهم لا يلجأون الينا ـ للأسف ـ الا بعد ان يضيعوا كل اثر للجريمة

ونهض المفتش ميللر ، وقال مخاطبا ديكر وهو يتمطى :

ــ هذا هو محصول الاسبوع أيها الرئيس ، واذكر بهذه المناسبة اننا اكتشفنا مكان المصنع الذى يزيف أوراق النقد الأمريكى ، وقد ذكرت لك هذا فى تقريرى المقدم اليك

فأومأ ديكر برأسه وقال :

ــ أرجو أن نقبض هذه المرة على العصابة كلها ، ولست أنسى هزيمتنا يوم هرب المزيف الايطالى تونى فراسكاتى بالمائة الف جنيه استرلينى بعد استبدالها بجنيهات مزيفة فى القضية السابقة ، ولا زلت أعتقد أن شخصا ما فى هذه الادارة قد سهل له طريق الهرب

ولم تكن كلماته تحمل معنى خاصا موجها الى شخص بالذات ، وانما كان يتحدث وكأنه يوجه العبارات الى جدران الغرفة ، أو كأنه يفكر بصوت مسموع • ولكن وجه المفتش ميللر الاسمر اربد بالغضب وهو يقول ببرود :

ــ كانت هذه القضية فى عهدتى ياسيدى

وكانت كلمة « سيدى » اذا قيلت بين الثلاثة الكبار ، فانها تعنى أن العلاقات لم تعد بينهم كما ينبغى واستطرد ميللر يقول :

ــ اننا لم ندخر وسعا للقبض على تونى ، وقد ذهبت بنفسى لمراقبة السفن المبحرة من ميناء دوفر

فانفرجت شفتا المفتش ديكر عن احدى بسماته التى نادرا ما تحدث ، ثم قال :

ــ طبعا ، طبعا ياعزيزى ميللر ، ان ماوقع لك ، كان يمكن أن يقع لأى واحد منا ، واعتقد أن تونى ــ وهو مجرم خطير ماهر ــ قد استطاع أن يرشو احد مرؤوسيك فما ذنبك أنت . وأيا كان الأمر ، فقد مات تونى ، ومضى على هذا الحادث سبع سنوات

ولكن ميللر عاد يقول :

ــ لقد وضعت استقالتى تحت أمركم

فقاطعه ديكر باشارة من يده قائلا :

ــ دعك من هذا الأمر ياميللر ، ان لكل منا هزائمه وانتصاراته .

حسنا ، لم يبق أمامنا الآن الا موضوع كوبى ، ما رأيك يا جيمى فى هذا المجرم ؟

فهتف جيمى قائلا :

ـ يا للسماء ، تصور أننى كنت أريد الانصراف الآن رغم أنى كنت أريد محادثتك عن هذا المجرم ؟

فحك ديكر أنفه وقال :

ـ نعم ، وأنا أيضا أريد أن أتبادل الحديث معك بشأنه . ينبغى علينا وقف كوبى عند حده . هل قرأت ماقاله محقق ضاحية وستمنستر عن قضية «شيل» ، لقد ذكر أنها ثانى حادثة انتحار فى عام واحد ، ومن المحتمل أن تقع حوادث أخرى مماثلة فنحن لانعرف كم عدد الذين يهددهم كوبى بنشر الفضائح عنهم ، لقد أمضيت فى خدمة البوليس ثلاثة وأربعين عاما لم أهزم فيها أمام المجرمين غير مرات تعد على أصابع اليد الواحدة ، وقد ينم حديثى هذا عن الزهو والغرور ، ولكنها الحقيقة ، ان أربعة مجرمين فقط هم الذين أفلتوا من يدى . . أفلتوا بالموت

وكانت تلك هى الحقيقة التى يعرفها الجميع عن المفتش القدير بيل ديكر منذ أن هجر مهنته كضابط بحرى للالتحاق بادارة اسكتلانديارد

واستطرد المفتش العجوز يقول بصوته البطىء :

ـ ولكن كوبى لا يزال يتحدانا ، وأن وجوده خارج جدران السجن لدليل على عجز رجال البوليس أمامه رغم أن عددا قليلا من ضحاياه قبلوا الاعتراف بتهديده لهم

فقال جيمى سيبنج وهو يشعل لنفسه لفافة من التبغ :

ـ لن تكون ثمة اعترافات أخرى بعد اليوم ، أتذكر رجل الاعمال الكبير الذى جاء يطالبنا بأن نسترد له الرسائل التى كتبها لاحدى فتيات الكورس ؟

فقال ديكر :

ـ انه لم يعد الينا ، ماذا حدث له ؟

ـ لقد طبع كوبى بضع نسخ من هذه الرسائل بالزنكوغراف وهدد رجل الأعمال بتوزيعها على أصدقائه : زوجته ، والدته ، أبنائه ،

زملائه فى العمل ، وعلى كل من له اتصال هام به ، ولم يسع رجل الاعمال الا أن يدفع الثمن . وقد أحضرت اليوم معى لوفوردكوليت المحامى الذى تولى هذه القضية والذي قال انه نصح رجل الاعمال بألا يدفع مليما واحدا ، ولكن الرجل لم ينتصح ، وقد دفع حتى اليوم ثمانية آلاف جنيه ، وذلك هو الفزع الجديد الذى نشره كوبى بين سكان هذه المدينة

ــ اتوجد حالات جديدة ؟

ــ نعم ، صديقى ركس والتون ، انه يعانى من تهديدات هــذا المجرم كوبى

ثم استدار جيمى فجأة نحو زميله ميللر وأردف قائلا بسرعة :

ــ هل تعرف ياميللر بهذه المناسبة صديقى ركس والتون ؟

فاربد وجه ميللر وقال :

ــ مجرد معرفة سطحية

ــ وهل تبادلت الحديث معه ؟

ــ ربما ، لماذا ؟

ــ أخبرنى أن شخصا ما فى هذه الادارة نصحه بألا يستهين بأمر كوبى

فأسرع ميللر يقول مقاطعا وقد ازداد وجهه اربدادا :

ــ اذكر انى تحدثت مع المستر والتون عن موضوع كوبى ، ولكن اذا خطر لك انى اخشى هذا المجرم أو . . .

واسرع المفتش ديكر قائلا :

ــ حسنا حسنا ، لاداعى لمثل هذه الاحاديث الخشـــــنة ، اننى شخصيا أحترم قوة كوبى ، فليس ثمة شك فى أن لديه نبعــا لا ينضب له معين من الآخبار والفضائح عن كثير من الناس

وتوقف عن الحديث عندما اقبل شرطى فى ملابس رسمية يحمل رسالة فى يده ويقول :

ــ رسالة للمفتش ميللر

واسرع المفتش ميللر ففض مظروف الرسالة ، وتناول الصفحتين المكتوبتين بالآلة الكاتبة ، وفيما كان ديكر وجيمى يتبادلان الحديث ،

اذا هما يسمعان صيحة خافتة ، فاستدارا ليريا زميلهما ميللر واقفا الى النافذة واحدى يديه على عنقه وفى الاخرى الرسالة ، وكان وجهه المربد قد بلغ غاية الإمتقاع ، وعيناه جاحظتين فى وحشية

وهتف المفتش ديكر وهو يسرع اليه :

ــ يا اله السماء ، ماذا حدث يا ميللر ؟ !

فهز ميللر رأسه وقال بصوت مختنق :

ــ لا شيء لا شيء ، أستأذن فى الانصراف

ثم غادر الغرفة مسرعا الى غرفته الخاصة ، ولما سمع زميلاه بابها ينغلق وراءه بشدة ، تبادلا النظرات ، ثم قال ديكر لجيمى :

ــ ماذا أصاب ميللر ؟ اخبار سيئة ؟

ــ لا أدرى ، انه غير متزوج ، أى أن حياته ليست فيها اضطرابات عائلية

وتوقف عن الحديث فجأة حين سمع صوت طلقة نارية يدوى عاليا ، وسرعان ماانعدفع عبر الممر الى غرفة ميللر ، فاذا هى مغلقة من الداخل

وفى لحظات معدودة تمكن من فتح باب الغرفة ، ودخل وراءه ديكر ليريا سحابة زرقاء من دخان البارود لا تزال معلقة فى جوها

أما ميللر فكان ملقى على السجادة بجانب المدفأة ، جثة هامدة ، والمسدس لا يزال فى يده

رأى جيمى ورقة تشتعل فى نيران المدفأة ، فأسرع محاولا استخلاصها ، ولكنه لم يستطع الا أن ينقذ جزءا صغيرا منها ، هذا بينما كان ديكر يقول :

ــ انه ميت تماما ، ماهذا الذى فى يدك ياجيمى ؟

ــ ما أمكن انقاذه من الرسالة التى استلمها ميللر المسكين منذ لحظات

ولم يكن بالجزء الباقى من الرسالة المحترقة الا هذه الكلمات :

خمسين الف ...

تونى فراسكا ...

هروبه ...

حساب جارى ...
نوروتش ...
وفى النهاية الحرف « ك »
وقال المفتش ديكر :

ــ أنا أعرف أن لميللر حسابا جاريا فى بنك نوروتش ، وكان قد ساعد تونى فراسكاتى على الهرب مقابل نصف المائة الف جنيه ، كنت أظن هذا ، ويبدو أن كوبى كان يعرف هــذه الحقيقــة ولديه الأدلة عليها

ثم أشعل عود ثقاب فى بقية الرسالة المحترقة وهو يردف قائلا :

ــ لا داعى لان يعرف أحد شيئا عن خطيئة ميللر حتى لا يفقــد الرأى العام ثقته بنا

وانحنى يربت على كتف ميللر وهو يقول بصوت رقيق :

ــ مسكين يا صديقى ، ولكن اطمئن ، لسوف أظفر بكوبى ولو بذلت حياتى فى هذا السبيل



وكان ركس والتون يتناول طعام العشاء مع جيمى فى مسكنه ــ مسكن جيمى ــ فى الليلة السابقة على زواجه ، وكان جيمى يقول فى معرض الحديث الذى يدور عادة أثناء الطعام بين صديقين أحدهما مفتش بالمباحث :

ــ عنــدما يصل رجال البوليس الى مسرح جريمة قتل ، فانهم يجدون امامهم ــ عادة ــ جثة شخص مجهول لديهم ، انهم لايعرفون شيئا حقيقيا عن القتيل ، لايعرفون شيئا عن مشكلات حياته قبل الوفاة ، لايعرفون آلامه وآماله ، حبه وبغضه ، مسراته وأحزانه ، أفراحه ومخاوفه .. لقد انفصمت الخيوط التى ربطته بالحياة ، وأن على رجل البوليس عندئذ أن يقيم لحياة القتيل هيكلا نابضا عن طريق البحث والتحرى لكى يصل الى الاسباب والدوافع المؤدية للقتل

فنظر ركس الى طرف سيجاره بشرود وقال :

ــ أتمنى من صميم قلبى لو انك استطعت أن تعرف شيئا عن كوبى لكى تقتله

ــ لقد حاولت وفشلت . فالانســـان العادى الخالى من العقــد النفسية لايستطيع ان يصل الى عقلية كاتب رســائل مجهول ، وانا اعترف ان كربى اخطر من مجرد كاتب رسائل مجهول .. انه من ابرع المحتالين الذين يبتزون المال عن طريق التهديد بنشر الفضائح ، ولكنه لايكتب كل رسائله للحصول على المال فقط ، فهو أحيانا يكتبها حبا للشر فى حد ذاته

ثم أردف قائلا :

ــ ان حبه للشر هو الذى دفعه الى قتل المفتش ميللر

فوثب ركس واقفا كأنه أصيب بعيار نارى وقال :

ــ ميللر ؟! يا اله السماء !

وقال جيمى وهو اشد مايكون دهشة لما بدا من فزع فى عينى ركس :

ــ هل تعرفه ؟ هل هو الرجل الكبير الذى استشرته فى موضوع الرسائل الاجرامية ؟

فأومأ ركس برأسه وقال :

ــ هل تعتقد انه قتل لهذا السبب ؟ كيف عرفوا ؟

ــ انتحر ، وانا اخبرك بهذا بصفة خاصة ياركس ، فنحن لانريد أن يعرف الرأى العام شيئا عن هذا الموضوع فقد تبين أن ميللر ارتكب جريمة رشوة خطيرة

فهز ركس رأسه فى عصبية وصاح :

ــ لا لا ، مالهذا انتحر ميللر ؟ انه قتل بسببى ، قتل لانه حاول أن يساعدنى

ولما توقف عن الحديث فجأة قال جيمى :

ــ حسنا ، ولماذا أيضا ؟

فتناول ركس زجاجة الشراب واخذ يصب فى كأسه كمية قليلة بيد لاحظ جيمى مندهشا انها ترتعد ، ثم قال :

ــ سأكون سعيدا عندما تتم اجراءات زواجى غدا ، اننى عادة ــ كما تعرف ــ لا أفزع حين يدق ناقوس المعركة ، فالمحارب يعــرف أن شعوره هو نفس شعور العدو الواقف امامه فى الناحية الاخرى

من ميدان القتال . ولكن كوبى شخصية مجهولة
ثم ضحك فجأة واردف قائلا :
ــ يالى من أحمق ، ان الشيء الذى كنت أخاف ان يحدث لايمكن ان يحدث لى الآن
فأثارت هذه العبارات اهتمام جيمى وقال بسرعة :
ــ ماذا تعنى بقولك « الآن » ؟
وفى تلك اللحظة اقبل الخادم واعلن وصول دورا وجوان
وقالت دورا بعد أن تم تبادل التحية بين الجميع :
ــ فيم كنتما تتحدثان ؟ .. عن الجريمة والعقاب وما الى هذا ؟
وقالت جوان وهى تخلع معطفها وتتخذ مكانها من المائدة :
ــ كانت المسرحية سخيفة ، وزاد من مللى أن دورا كانت مشغولة عن كل شيء بأفكارها وخواطرها
وبعد أن دار الحديث برهة حول المسرحية قالت دورا لجيمى :
ــ هل أخبرك ركس بسره ؟
ــ لم أكن أعرف ان لديه سرا
فقالت جوان :
ــ ان لديه مشروعات بشأن شهر العسل ، انه يريد ان يجعل منه شهر عسل فريدا فى نوعه . والآن ، الا تخبرنا ياركس بشيء عما تنوى أن تفعله فى هذ الشهر ؟
ــ لا ، مطلقا ، انه من أسرارى الخاصة ، ولن أخبر أحدا بما أنوى ان اقوم به الا زوجتى ، وذلك بعد أن تتم اجراءات الزواج غدا . والآن حان وقت الانصراف ، لسوف اصحبكما الى البيت . ومرة أخرى أقول لك ياجيمى لاتنس أن تكون فى منزل المستر كولمان بميدان بورتلاند فى الصباح لتتناول معنا افطار الزواج ، وبعد ذلك سنذهب الى مكتب التسجيل
ثم رفع يده محذرا فى مرح واردف قائلا :
ــ وممنوع احضار هدايا زواج ياجيمى
وبعد أن دار الحديث برهة أخرى عن هدايا الزواج ، صحب جيمى ضيوفه الى نهاية الشارع الذى يقيم فى أحد مساكنه ، ثم

وقف على الافريز يرقب سيارة ركس حتى اختفت عن الانظار

وفيما هو واقف ، مر بجانبه رجل مسرع فى سيره ، ولما تراجع جيمى خطوة اصطدم بالرجل فقال له :

ــ معذرة ياسيدى

ولكن الرجل مضى فى سبيله مسرعا دون أن يجيب

وعاد جيمى الى مسكنه ، ووقف فى غرفة المائدة ــ المهجورة ــ ثم مد يده الى جيب سترته ليتناول علبة ثقابه ، واذا أصابعه تلمس شيئا لم يكن موجودا بالجيب ، فأخرجه ، واذا هى دمية صغيرة خفيفة من البلاستيك .. احدى الدمى التى تحمل شعار كوبى ، والتى يتركها كثيرا فى مسرح الحوادث التى يكون هو السبب فى وقوعها ، وكان حول الدمية شريط من الحرير الابيض مكتوب عليه هذه الكلمات :

« ابتعد عن هذا الموضوع .. ابتعد عنه نهائيا »

ونظر الى الدمية الصغيرة فى دهشة وهو يقول :

ــ من أين جاءت هذه بحق الشيطان ؟



الفصل الثالث

اختفاء

كان المستر كولمان ــ والد دورا ــ كهلا أعزب فى العقد السادس من عمره ، يعمل مديرا لاحدى الادارات بوزارة المالية التى تقع بعض مبانيها فى الجانب الآخر من ميدان بورتلاند حيث يقوم منزله الخاص الكبير . وكان طابع التقاليد والمراسم الدقيقة يسيطر على كل صغيرة وكبيرة فى حياة الرجل العامة والخاصة : فهو قليل الاتصال بالمجتمعات العامة .. قليل الاختلاط بعامة الناس ، اذا تحدث فبوقار ، واذا قام بعمل أيا كان فانه يقوم به حسب التقاليد التى تعود عليها

ولكن طعام الافطار فى هذا اليوم لم يكن حسب العادة التى جرى عليها سنوات وسنوات لسبب بسيط ، وهو أن الافطار فى هذا اليوم كان خاصا بزواج ابنته دورا من الشاب الثرى ركس والتون، وكانت المائدة الصغيرة المستديرة معدة لستة أشخاص : دورا وخطيبها ، وجيمى سيبنج صديق ركس ، وجوان أخت ركس ، وهو .. المستر كولمان نفسه ، والد العروس ، وابن أخيه المحامى كوليت

وقال المستر كولمان للساقى الخصوصى الكهل باركر :

ــ هل وصلت حقائب السفر الخاصة بالمستر ركس والتون ياباركر ؟

ــ اجل يا سيدى

ــ حسنا ، عندما يعود المستر والتون من مكتب تسجيل الزواج عليك أن تساعده فى تغيير ملابسه الرسمية ليرتدى ملابس السفر ، ولا شك أنه سيمنحك نفحة مالية ضخمة بهذه المناسبة

وفى تلك اللحظة أقبلت ابنته دورا بجمالها وصباها تتمايل سرورا فقبلته وبادلته تحية الصباح ، فقال لها :

ـ هل تمتعت بنوم هادىء الليلة ؟ سعيدة تلك العروس التى تشرق عليها الشمس ، آه يا للسماء ، انها تمطر بشدة !

ـ ومع ذلك سأكون سعيدة جدا يا والدى

وأقبل فى تلك اللحظة لوفورد كوليت ، وهو محام ناجح ، ومستشار قانونى للمستر كولمان ، عدا أنه ابن أخيه الوحيد ، أى ابن عم دورا

وفى نفس الوقت وصل ركس والتون وأخته جوان وصديقه الحميم جيمى سيبنج ، وكان القلق يبدو بوضوح على ركس ،ولكن وجهه أشرق بالرضى حين أسرع الى دورا حيث وقف معها يبادلها الحديث فى النافذة برهة على انفراد

وبعد لحظات من تبادل التحية والاحاديث الخفيفة قال المستر كولمان للساقى العجوز باركر :

ـ هل اكتمل العدد يا باركر ؟

ثم أومأ برأسه ، ومضى الى حيث وقفت دورا مع ركس ،فتناول ذراعها وصحبها الى مقعدها من المائدة ، وجلس جيمى الى يمين جوان ، والى يساره جلس لوفورد كوليت . وقال جيمى لجوان :

ـ هل استطعت أن تظفرى من ركس ببعض المعلومات عن رحلة شهر العسل ؟

ـ لا ، مطلقا ، بل أعتقد أن دورا نفسها لا تعرف شيئا عن هذا الموضوع ، ولا عن هدية الزواج ، ولكن يبدو أنها هدية ثمينة جدا فقد رأيته يرفض شراء عقد من اللؤلؤ يساوى آلاف الجنيهات لانه يريد شيئا أثمن وأجمل



وكان برنامج الصباح بسيطا ، فبعد أن يفرغ العروسان من اتمام مراسم الزواج بمكتب تسجيل منطقة ماريلبورن ، يعودان الى منزل الوالد كولمان حيث يستبدلان ملابسهما بأخرى ، وعندئذ تكون سيارة ركس الكبيرة السريعة فى انتظارهما بالحقائب لتمضى بالعروسين السعيدين الى مصيرهما المجهول

وعلى المائدة التقت نظرات كل من جيمى وركس ، فابتسم هذا الاخير وقد ارتسمت على وجهه أمارات السعادة رغم كل مخاوفه فى الليلة الماضية ، ومن ناحية أخرى فقد كان لا يكاد يستطيع أن ينتزع نظراته عن وجه دورا الصبوح وهى جالسة على يمين والدها

وبعد الانتهاء من طعام الافطار نهض الوالد ، والقى كلمة قصيرة تمنى فيها السعادة والهناء للعروسين ، وماكاد ان يجلس حتى أقبل باركر — الساقى الكهل — وهمس فى اذن ركس بكلمات قليلة نهض هذا بعدها وغادر الغرفة بينما قالت جوان فى دهشة :

— عجبا ! الى أين يذهب ركس ؟

ولم يبد على دورا أو والدها ماينم عن دهشتهما لانصراف ركس ، فقد رأى جيمى المستر كولمان يومىء الى باركر ثم يتبادل معه الاسئلة والاجابات فى همس ، ثم أومأ الوالد برأسه الى ابنته دورا التى تمتمت بكلمات خافتة لم يسمعها جيمى وسمعتها جوان فقالت له فى قلق :

— كان ركس قد طلب من باركر أن يأتى اليه وينبهه بأن الساعة أوشكت على العاشرة الا عشر دقائق ، وجاء باركر فى الموعد المحدد ، وكثيرا ما تمنيت لو أنه اقلع عن هذه التصرفات ، فانه شغوف دائما بمفاجأة الناس ، ولعله قد ذهب لاحضار هدية الزواج

ومرت خمس دقائق ، ثم عشر دون أن يعود ركس ، ونظر المستر كولمان فى ساعته وقال :

— يجب أن نذكر المستر ركس بأن موعده مع مكتب التسجيل فى العاشرة والنصف

وبعد خمس دقائق أخرى ، ذهب باركر ليبحث عن ركس فى المنزل ثم عاد بسرعة ليقول انه لم يعثر عليه . وثبت بعد البحث الدقيق أن ركس اختفى دون أن يراه أحد



وتبع جيمى الساقى الكهل باركر الى الغرفة التى خصصت لتغيير ملابس ركس بالطابق الأعلى ، وقد لاحظ من النظرة الاولى أن ركس غير ملابسه الرسمية ، وذلك حين رأى السترة السوداء والبنطلون

المخطط موضوعين على أحد المقاعد ، وقال باركر :
ــ لقد أخذ معه المعطف الكبير والقبعة أيضا
فقال جيمى وهو يغادر الغرفة :
ــ ولمن هذه الغرفة التالية ؟
ــ لمس دورا كولمان .. العروس
وفتح باركر بابها ، فاذا هى غرفة نوم واسعة جميلة، على سجادتها حقيبتا سفر كبيرتان كانتا معدتين للرحلة المنتظرة ، وعلى السرير حقيبة ملابس كبيرة مغلقة
وقال جيمى لباركر :
ــ هل صحبته الى غرفته أم ذهب بمفرده اليها ؟
ــ لقد بينت له الطريق اليها ، وكان قد طلب منى أن انبهه فى الساعة العاشرة الا عشر دقائق لانه كان يريد الصعود الى غرفته لسبب ما
ــ لكى يغير ملابسه مثلا ؟
ــ لا ، كان من المتوقع ان يغير ملابسه بعد عودته من مكتب التسجيل
ــ هل من الممكن ان يهبط من السلم الرئيسى دون أن يراه أحد من الخدم ؟
ــ لا أدرى ياسيدى ، ولكنى سأتحرى
وبينما كان جيمى يقوم بجولة تفتيشية فى غرف المنزل ، مضى باركر ليسأل الخدم ، وما لبث أن عاد وأعلن أن أحدا لم ير المستر ركس والتون وهو ينصرف من المنزل ، ثم قال :
ــ لا يمكن ان يكون قد غادر المنزل من الباب الرئيسى لان اثنين من سائقى السيارات الخاصة كانا واقفين بالقرب من هذا الباب ، وقد ذكرا انهما لم يريا أحدا يخرج .
وعاد جيمى من جولته التفتيشية بغرف المنزل فسأل باركر :
ــ هل هناك باب آخر للمنزل ؟
ــ يوجد سلم للخدم
ثم مضى الساقى مع جيمى الى سلم حديدى حلزونى فى الجانب

الخلفى من المنزل ، يفضى الى جناح المطبخ ، وفى مستوى الطابق الاول رأى جيمى بابا ، فلما أدار مقبضه فتح فى سرعة ، وكان يؤدى الى فناء صغير فى ناحيته الاخرى باب ثان ، قال عنه باركر أنه يفضى الى منطقة زراعية مهجورة ، وأن وراءه يقع « المرآب » ـ الجاراج ـ واصطبلات الخيل

فعبر جيمى الفناء ، وفتح الباب الثانى حيث رأى المطر ينهمر بغزارة ، ولكنه سار رغم هذا حتى نهاية المنطقة الزراعية دون أن يلتقى بأحد رأى العريس المختفى ، وعاد الى غرفة الطعام ليرى دورا جالسة بوجه شاحب واعصاب مضطربة . اما جوان ، فقد كانت رغم امتقاع وجهها ، متمالكة أعصابها . وقد سألته قائلة :

ـ ماذا حدث ياجيمى ؟

ـ اننى لا أدرى على وجه التحديد . هل كان مع ركس نقود ؟

ـ نعم ، مبلغ كبير ، ثلاثة أو اربعة آلاف جنيه ، قال لى هذا صباحا ، ولكنه لم يخبرنى عن سبب حمله لهذا المبلغ الكبير

وقال المستر كولمان فى استنكار :

ـ هل تأكدت من أنه ليس موجودا بالمنزل ؟ ان هذا مستحيل ، كنت أظن أن المستر والتون رجل يحرص على سمعة الغير ، ولكن ...

ـ لا داعى لان تغير رأيك فى ركس والتون يامستر كولمان ، انه لم يغادر المنزل بمحض ارادته وانما رغما عنه ، إنى واثق من هذا

ثم نهض وصعد مرة أخرى الى الغرفة وفتش ملابس ركس التى كان قد خلعها ، فلم يجد بها غير ورقة مالية فى جيب الصديرية يبدو بوضوح أن ركس نسيها فى هذا الجيب وهو يغير ملابسه على عجل . ولكن .. لماذا غير ركس ملابسه ؟ لقد كان من المنتظر أن يغيرها بعد عودته من مكتب التسجيل ، هذه اغرب ناحية فى الموقف كله ، فاذا كان قد غادر المنزل مرغما ، أى بأيدى أشخاص قبضوا عليه واجبروه على الانصراف معهم ، فليس من المعقول ـ يقينا ـ ان ينتظروه حتى يغير ملابسه ، ولو انه اختفى مع « غيار » الملابس

دون أن يترك وراءه بذلة الزواج ، لامكن لهذا الاحتمال أن يفسر الشيء الكثير

وعاد جيمى الى غرفة المائدة حيث لم يجد مندوحة عن اخبارهم بالتحذير الأخير الذى تلقاه ركس ، فقالت له دورا بصوت خافت ثابت وهى تحدق النظر فى وجهه :

ــ هل ترى إذن انهم اختطفوه ؟ اننى اريد يا مستر سيبنج أن تصارحنى بالحقيقة كلها ، فان ركس لم يبد حتى آخر لحظة أقل رغبة فى عدم اتمام الزواج

ــ وأنا أعتقد أنه كان سعيدا جدا بهذا الزواج ، وأن كل همه كان هو العمل على توفير أسباب السعادة لك

فقال المستر كولمان بوجه مربد غاضب :

ــ لا زلت أعتقد أن المستر والتون غادر المنزل بمحض رغبته

فرد جيمى :

ــ وأنا أرى أنه يحسن استدعاء رجال البوليس

ــ لا . ان حضور رجال البوليس سيسبب لنا فضيحة لاأرضاها لنفسى أو لابنتى ، ولهذا يجب ، قبل استدعائهم ، أن نبذل كل ما فى وسعنا للبحث عنه . ومن يدرى ، فلعله عاد الى منزله لسبب ما

وكان جيمى قد فكر فى هذا الاحتمال أيضا ، ولكن الاتصال التليفونى بمنزل ركس والتون فى ضاحية شلسيا ، لم يؤيد هذا الاحتمال

فصحب جيمى جوان والتون الى منزل اخيها ، وهناك قالت له والدموع فى عينيها :

ــ يا لدورا المسكينة ، يا للفظاعة ، أتظن أن ركس غير رأيه ؟

فلما هز رأسه نفيا ، أردفت قائلة :

ــ اترى أنه فى خطر ؟

ــ اننى لا أدرى ، فان كوبى لم يعمد الى ارتكاب جريمة قتل حتى الآن ، ولست اظن أن ركس من نوع الرجال الذين يجدون فى الانتحار خلاصا من همومهم

ــ أليس فى حياته شيء ياجيمى ؟

ــ لا ، أبدا ، اننى أعرف تاريخ حياته بالتفصيل ، فهو لم يكن يخفى عنى أى سر ، والسر الوحيد الذى أخفاه عنى هو تفاصيل رحلته فى شهر العسل

وعاد الى مسكنه حيث تناول الدمية التى وجدها فى جيب سترته ثم استحضر دفترا كان يجمع فيه بصمات أصحابه ومعارفه وأقاربه على سبيل الهواية ، ومضى بالاثنين الى خبير البصمات فى اسكتلانديارد وطلب منه أن يقارن بين البصمات الغريبة على دمية كوبى وبين بصمة صديقه ركس فى الدفتر ، ولما ذكر له الخبير أنه لا يوجد أى تشابه بين البصمتين ، تنهد جيمى فى ارتياح بعد أن طاف بذهنه شك رهيب فى أن ركس قد يكون هو نفسه كوبى

ثم ذهب الى منزل ركس بضاحية شلسيا ، وهناك استقبلته جوان قائلة :

ــ هل جد شىء ؟

ــ لا ، ولكنى أحب أن أتحدث الى خادمه الخاص ، فقد خطر لى أنه قد يساعدنا ، ولعل ركس كان قد أسر اليه بشىء

فأومأت جوان برأسها وقالت :

ــ حسنا ، لسوف أستدعيه حالا ، اننى جد بائسة ، وأخشى أن يكون ركس قد أصيب بسوء

ــ ما اسم خادمه الخاص ؟

ــ وليام ويلز .. رجل كهل ظل فى خدمة ركس أعواما عديدة ، وهو شديد الوفاء له

وعادت الخادمة التى أرسلتها جوان لاستدعاء الخادم الخاص لركس تقول :

ــ لقد غادر المنزل

ــ غادر المنزل ؟

ــ نعم ، يقول البواب انه ذهب لشراء احدى الصحف ولم يعد حتى الآن

ــ ومتى خرج ؟

ــ فى العاشرة تماما

الفصل الرابع

الرسالة الزرقاء

انتظر جيمي ساعة ، ولكن الخادم المختفي لم يظهر ، وكانت ملابسه كما هي في غرفته الخاصة حيث كان قد ترك رسالة الى اخيه في كندا دون أن يستكملها . وقد دل هذا على أنه لم يكن ينوى الاختفاء ــ على الاقل ــ في ذلك اليوم

ومضى النهار كله دون أن يعود أحد الرجلين ، وفي المساء وزع جيمي نشرة بأوصافهما على جميع دور الصحف بالمدينة ، كما أرسل خبر اختفائهما الى جميع مراكز البوليس بها ، ورغم مراقبة جميع نهايات طرق المواصلات ، فان أحدا لم يستطع أن يعرف أين ذهب الرجلان

وفي ساعة متأخرة من الليل ، قال المفتش العجوز ديكر ــ الذى كان مهتما بالامر اشد الاهتمام ــ لجيمي :

ــ ان المسألة مسألة وقت قبل أن تتخذ العصابة خطوات اخرى غير مجرد ابتزاز الاموال ، هل يساوى ركس والتون مبلغا كبيرا ؟

ــ انه مليونير تقريبا

ــ اذن فلن يقتلوه .. انى واثق من هذا .. وانما سيطالبون بمبلغ ضخم نظير اطلاق سراحه

ثم أردف المفتش العجوز بعد التفكير برهة :

ــ ان المجرم الذى تتعدد حوادثه دون أن يقبض عليه ، هو أخطر المجرمين على الاطلاق ، وأشدهم دهاء ومكرا ، لانه يتعلم في كل مرة من أخطائه ، وتصبح الجريمة بالنسبة له سلسلة من التجارب التى تكتمل بالممارسة ، وان كوبى انموذج لمثل هذه الحالات ، فقد

حاولنا الايقاع به مرات عديدة ، ولكنه كان يفلت منا فى كل مرة حتى أصبح خبيرا بوسائلنا فى الايقاع بالمجرمين ، وهو — مع مرور الزمن — لن يتورع عن ارتكاب أية جريمة لانه يعرف أنه اذا وقع فى أيدينا فسوف يسجن مدى الحياة ، وأكبر ظنى أنه لن يتورع عن القتل اذا وجد نفسه فى مأزق .. هل عثرت على الخادم ؟

فلما هز جيمى رأسه بالنفى قال ديكر وهو يحك ذقنه منكرا :

— هذا عجيب . هل تحريت عن تاريخ حياته ؟

— انه تاريخ ينم عن الاستقامة بقدر ما أعرف ، لقد التحق بخدمة ركس أولا كسائق سيارة ثم أصبح خادمه الخاص

— هل له اقارب ؟

— له شقيق فى كندا ، وقد اتصلنا به تلغرافيا فأخبرنا أنه لا يعرف عن أمر اختفاء أخيه شيئا

وصمت ديكر برهة قبل أن يعود الى الحديث قائلا :

— لعلك لا تصدقنى اذا قلت لك ان كوبى سوف يصبح قريبا عدوا خطيرا للمجتمع ، وربما ترى أنه كذلك الآن . ولكن الحقيقة هى أنه فى أول طريقه الاجرامى

ولما عاد جيمى الى مسكنه ، وجد دورا ووالدها فى انتظاره ، فقال هذا فى لهفة :

— ماذا حدث ؟ هل عاد ركس ؟

فقالت دورا وهى تبرز علبة حلى فاخرة :

— لا ، ولكننى وجدت هذه فى حقيبة ملابسى

ولما فتح جيمى العلبة ، أرسل صفيرا خفيفا لفرط دهشته من روعة السوار الماسى الموجود بها . وقال المستر كولمان :

— لقد ثبت لنا أنها هدية الزواج ، فان اسم الجوهرى الذى باعها مكتوب عليها ، ولما ذهبنا لسؤاله قال ان المستر والتون اشترى السوار منه فى اليوم السابق بمبلغ ألفين وخمسمائة وثمانين جنيها

— تقولين انك وجدتها فى حقيبة ملابسك يامس دورا ، وأين كانت هذه الحقيبة ؟

— على سريرى

ـ أكانت مقفلة بالمفتاح ؟

ـ لا ، تركتها مفتوحة لأضع فيها بعض لوازمى فى آخر لحظة قبيل الرحيل ، وقد مضيت الليلة لاستحضار فرشاة اسنانى ، فاذا بى اجد هذه العلبة فى أحد جيوبها

ـ ألم تجدى رسالة أو شيئا من هذا القبيل ؟

ـ لا

ـ متى فتحت الحقيبة آخر مرة قبل ذهابك لاستحضار فرشاة الاسنان منها ؟

ـ بعد اختفاء ركس مباشرة ، وأنا واثقة بأن العلبة لم تكن موجودة عندئذ

وعض جيمى على شفته السفلى من فرط الحيرة ، فان حديث دورا يعنى أن علبة السوار الماسى قد وضعت فى الحقيبة فيما بين الساعة العاشرة والنصف صباحا وبين اللحظة التى ذهبت فيها لاستحضار فرشاة الاسنان . ومن المحتمل أن تكون موجودة بها قبل هذا دون أن تفطن دورا اليها بسبب اضطرابها . ولكن .. لماذا تركها ركس وراءه ؟ هل قصد أن يجعلها نوعا من التعويض المادى لما سيلحق الفتاة من ضرر أدبى بسبب اختفائه ؟

وطرد جيمى هذا الخاطر من ذهنه ، لانه يعرف أن ركس آخر من يفكر فى اهانة من يحب بمثل هذه التعويضات المادية ، وفجأة سأل دورا قائلا :

ـ هل ضاع شىء من الحقيبة ؟

ـ لا ، لقد تأكدت من أن كل شىء بها ظل كما هو فى موضعه

فأعاد جيمى علبة السوار اليها قائلا :

ـ ان هذه الحلية الثمينة هى ملك خالص لك ، فقد اشتراها ركس لتكون هدية الزواج ، وما أظن أنى سأحتاج اليها بين الادلة التى اجمعها لمعرفة سر اختفائه

وشرع المستر كولمان يتحدث عن استنكاره لما حدث ، وعن تأثير هذه « الفضيحة » فى مركزه كموظف حكومى كبير . وقد تبين لجيمى ان الرجل مهتم بتأثير ماحدث على مركزه أشد من اهتمامه بأثره فى

عواطف ابنته . أما دورا فقد قالت له هامسة قبل أن تنصرف مع أبيها :

ــ أرجوك أن تتصل بى تليفونيا فى اية ساعة بالليل أو بالنهار اذا سمعت شيئا عن ركس ، هل ستفعل ؟

فربت جيمى على يدها فى عطف ، وأومأ لها برأسه مؤكدا انه سيفعل



مضى جيمى الى فراشه وهو يفكر فى أن أقوال المفتش ديكر لا تخلو من الاحتمال الكبير فى أن كوبى قد يتحول الى عدو خطير من أعداء المجتمع . وفيما هو يطفىء نور الغرفة ، اذا جرس التليفون بجانبه يصلصل ، فرفع السماعة ، واذا بصوت خشن أجش يقول :

ــ أهذا انت ياسيبنج ؟

ــ نعم ، من أنت ؟

ــ هذا لا يهم ، ولكن المهم هو أن تسرع الى منزل ركس والتون وأن تنقذ محتويات الدرج الأعلى فى الجانب الايمن من مكتب المستر والتون ، أسرع ولا تبطىء

ــ ولكن ، من أنت ؟

ــ شخصيتي لاتهمك الآن ، المهمة خطيرة وعاجلة ، لاتؤجلها الى الصباح ، أسرع بالحصول على الرسالة الزرقاء من درج المكتب

ثم انقطعت المحادثة

أسرع جيمى بارتداء ملابسه ، وانطلق فى سيارة أجرة الى ميدان كادوجان بضاحية شلسيا حيث رأى الضوء ينساب من غرفة جوان ، فأدرك انها لم تأو بعد الى فراشها . ولما استقبلته قالت له بلهفة :

ــ هل وردت أخبار عن ركس ؟ فلم يرد على سؤالها وصحبها الى غرفة الاستقبال حيث أخبرها عن الرسالة التليفونية ، ثم أجاب على سؤال لها :

ــ لا ، لم يكن ركس هو المتحدث ، ولا أدرى من أين كان يتحدث هذا المبلغ المجهول، ولكنى تركت مهمة التحرى عن المصدر لاحد اعوانى

وقطبت جوان جبينها ثم قالت :

هذا أمر غريب ، وانا لا اعرف شيئا عن أعمال اخي المالية ، هلم الى غرفة مكتبه



وكانت غرفة المكتبة في الطابق الاول وفي الجانب الخلفي من المنزل ، وكانت غرفة رحيبة ، ولكنها تبدو اصغر من حجمها الحقيقي بخزانات الكتب التي تدور حول الجدران ، وكان ثمة مكتب انيق في وسط الغرفة ، والى هذا المكتب جلس جيمي وحاول أن يفتح الدرج الاعلى في الجانب الايمن ، ولكن تبين له بعد المحاولات الاولى أن الدرج مبطن من الداخل بالصلب ، وأن عملية فتحه لن تكون سهلة بأية حال!

واستعان جيمي بالساقي وبعدد من الآلات الحديدية على فتح الدرج ، ولكنهما ماكادا أن يحدثا في جانبه ثغرة حتى انساب منها دخان أزرق له رائحة خاصة مما جعل الساقي يهتف في دهشة :

ــ ان محتويات الدرج تحترق

وقال جيمي :

ــ استحضر بعض الماء بسرعة وافتح النوافذ

ولكن لم يكن ثمة جدوى في محاولة انقاذ محتويات الدرج ، فما أن تم فتحه حتى كانت كل محتوياته من أوراق ــ مع الرسائل الزرقاء ــ قد أصبحت رمادا . وقال جيمي :

ــ أعتقد أن النار كانت تسري في محتويات الدرج منذ فترة طويلة ، وربما منذ أيام

وقالت جوان :

ــ وماذا نفعل الآن ؟

ــ انني لا أدري نوع المادة الكيميائية التي استخدمت لاضرام هذه النار في الوقت المحدد ولكني أعتقد أنها وضعت في الدرج أو في المظروف الازرق أو معه في نفس الوقت

ثم أردف قائلا وهو ينظر في أسف الى بقايا الاوراق المحترقة في الدرج :

ــ ترى أين المظروف الازرق بين هذه البقايا المحترقة ؟

وتناول فى رفق شديد قصاصة من ورق محترق ونظر اليهـا بعدسة مكبرة ورغم ان آثار الكتابة تبقى عادة فى الورق المحترق ، الا أن جيمى لم ير أثرا للكتابة على بقايا الاوراق التى احترقت فى الدرج .
وقالت جوان فى دهشة بالغة :

ـ مامعنى هذا كله ياجيمى ؟

ـ اننى لا ادرى شيئا ، ماهو الغرض من استدعائهم لى ؟ وكيف ظنوا ان فى مقدورى فتح هذا الدرج بسهولة ؟ حسنا ، لا تجعلى احدا يلمس هذه البقايا ، فربما نعثر فيها على دليل

ثم اجرى تفتيشا دقيقا على ادراج المكتب الاخرى دون أن يهتدى الى شيء ، وأخيرا قال :

ـ الم يكن ركس يحتفظ بدفتر يوميات او مذكرات ؟

ـ لا ، ابدا ، وكان دائما يسخر من هذه العادة

وطاف جيمى بنظراته على جدران الغرفة حتى رأى خزانة حديدية كبيرة مثبتة فى الجدران ، ذات قرص دائرى مرقم ، فقال لجوان :

ـ أتعرفين طريقة فتحها ؟

ـ لا ، فأنا لا أتدخل فى أعمال ركس ، ولكنى أعتقد أن مديرالبنك الذى يتعامل معه يعرف طريقة فتحها ، فان لركس عقلية عملية فى مثل هذه الشئون

ـ لقد رأيت مدير بنك ساوث ـ ايسترن هـذا الصباح ، وكان ينبغى أن أسأله عن هذا

ـ ان مدير البنك لا يكاد يعرف شيئا عن شئون ركس المالية ، لانه يحتفظ فيه بمبالغ بسيطة ، أما الجانب الاكبر من ثروته فمودع فى بنك لندن وبرمنجهام وأنا أرجو ياجيمى أن تقابل مدير هـذا البنك غدا ، فان ركس ذكر لى تلميحا ان شخصا ما يهدده بانتزاع ثروته كلها منه اذا هو تزوج من دورا ، وانى لهذا شديدة القلق

ـ أتظنين أنهم نفذوا تهديداتهم ؟

فأومأت برأسها

وبعد برهة من الصمت قال جيمى :

ـ اذا كان المتحدث التليفونى المجهول ملهوفا على انقاذ محتويات

الدرج ، فلماذا لم يتصل بك هنا ؟

فابتسمت قائلة :

ـ ربما لان خللا حدث فى خطنا التليفونى ، وقد تبينت هذا الخلل مباشرة بعد غروب شمس هذا اليوم وذلك عندما حاولت أن أتصل بك لاسألك عن آخر أنباء ركس

فنهض جيمى وهو يقول فى إهتمام :

ـ خلل فى الخط التليفونى ؟ من أين تأتى أسلاك التليفون الى هذه الغرفة ؟

فأشارت الى النافذة

وما لبث جيمى ، بعد البحث الدقيق ، أن رأى فجوة فى الجدار الخلفى للنافذة مساحتها أربع بوصات ، وقد تدلى منهـــا طرف من السلك التليفونى المقطوع

وعاد ببطء الى غرفة المكتب ، وخط كلمات قليلة فى مذكرةوطلب من الساقى تسليمها الى أقرب مركز للبوليس ، فقالت جوان :

ـ هل قطع شخص مجهول الخط التليفونى

ـ نعم ، ولست أدرى لماذا ؟ ولكنى أعتقد أن القطع حدث بين غروب الشمس وبين محاولتك الاتصال بى ، متى كانت هذه المحاولة ؟

ـ فى نحو العاشرة والنصف ، ولكن لماذا قطعت الاسلاك ؟

ـ أستطيع فقط أن أخمن ، فالواضح أن لدى شخص ما أسبابا قوية لانقاذ محتويات الدرج ، وأن لدى شخص آخر أســـبابا أقوى لاحراقها ، ورأيى هو أن الشخص الاول حاول الاتصال بك تليفونيا ليخبرك أين يوجد المفتاح ـ وسوف نعثر عليه فى الوقت المناسبفى هذه الغرفة ـ ولكن الشخص الآخر ، بذكائه الفارط ، توقع اتخاذ هذه الخطوة من غريمه ، فقطع أسلاك تليفونك غافلا عن احتمال إمكان الشخص الاول الاتصال بى ، واذا صح استنتاجى،فان القلقالشديد يسود معسكر الاعداء الآن لانهم يراقبون تحركاتى بدون شك،ولعلهم يظنون الآن أنى أنقذت محتويات الدرج فعلا

ـ ولكن ما معنى هذا كله يا جيمى ؟ اننى لا أفهم شيئا ، وان الخوف قد بدأ يستبد بى

وبذل جيمى جهده فى تهدئة أعصابها والتقليل من مخاوفها ، ولم يلبث السائق أن عاد مع أحد رجال الشرطة الرسميين ، فأصدر اليه جيمى التعليمات لحراسة منزل ركس والتون ، ثم عاد الى مسكنه ، واتصل بمصلحة التليفونات

وفى الساعة السادسة والنصف من صباح اليوم التالى اتصلت جوان تليفونيا به ، فعلم أن اصلاح الخط قد تم بالسرعة المطلوبة ، أما آخر الانباء عن الرجلين المختفيين ، فلم تتجاوز أقوال أحد التجار المحليين بضاحية شلسيا ، اذ قال انه شاهد خادم المستر والتون ، المختفى ، أى وليام ويلز ، يركب سيارة أجرة بعد ساعة من اختفائه ويتجه بها نحو منطقة ماربل آرل • وكانت هذه الاقوال هى كلها المعلومات التى وردت الىٰ المسئولين أثناء الليل



بعد أن فرغ جيمى من طعام الافطار ، مضى الى بنك لندن وبرمنجهام ، حيث استقبله المدير فى غرفته الخاصة قائلا :

ـ يسرنى أنك جئت يا مستر سيبنج ، وأعتقد أنك استلمت رسالتى اليك

ـ لا ، لم أذهب الىٰ اسكتلنديارد هذا الصباح ، لماذا أرسلت الىٰ ؟ ولكن ، أحب أولا أن أعرف هل توجد خزانة خاصة للمستر ركس والتون فى غرفة البنك الحديدية ؟

ـ نعم ، ولكنها خالية ، فقد أخذ المستر والتون كل شىء منها قبل اختفائه بأسبوع ، ولهذا أرسلت اليك

ـ ولكن لا يزال له رصيد عندكم طبعا ؟

ـ كان له رصيد ضخم ، ولكن لم يبق له الآن فى خزائننا أكثر من مائتى جنيه ، والواقع أن المستر والتون سحب فى خلال الايام السبعة السابقة على اختفائه نحو مليون من الجنيهات

ـ نقدا ؟

ـ عملة أمريكية

ـ ودفعة واحدة ؟

ـ كلا

واستحضر المدير دفتر حسابات ركس والتون ثم قال وهو يتصفحه:

ـ سحب المستر والتون رصيده على ثلاث دفعات في ثلاثة أيام متوالية : فسحب في اليوم الاول مليونا وثلاثمائة ألف دولار سندات ذهبية كل منها فئة خمسة آلاف دولار • وفي اليوم التالي سحب مليونا وثمانمائة ألف دولار ، وسحب في اليوم الثالث بقية الرصيد• ويبلغ المجموع كله أربعة ملايين وثمانمائة وخمسة وسبعين ألف دولار ، هذا عدا أربعة آلاف جنيه استرليني سحبها لنفقات رحلة شهر العسل

ـ ألم يذكر أين كان ينوى أن يذهب ؟

ـ لا ، ان المستر والتون ليس من الرجال الذين يسهل على الانسان أن يوجه الاسئلة اليهم ، وهو لا يطيق أن ينتقده أو ينصحه أحد • وقد ذكرت له انه من الخطر الشديد أن يمتلك شخص من الاشخاص مثل هذا المبلغ من الاموال النقدية خارج جدران البنك ، فقال لي في استياء : انه أدرى بمصالحه الشخصية من غيره • ولم يسعني حينئذ الا احترام توقيعاته على الشيكات وآلا اصدار الامر بتحويل رصيده الضخم الى دولارات وتسليمه اليه

ـ هل احتفظت بأرقام هذه الاوراق المالية ؟

ـ لا ، اننا عادة لا نحتفظ بأرقام الاوراق المالية الامريكية ، لاننا نحصل عليها أولا بأول من بنك « الضمان الامريكي » الذي له فرع هنا في لندن

وفكر جيمي برهة ثم قال :

ـ أعتقد أن هذه العملية لا تؤثر في شيء على رصيد مس جوان والتون ؟

ـ لا طبعا ، انها لا تؤثر على رصيدها أو ودائعها ، ورصيدها ليس كبيرا على كل حال ، لان والدها جعل لها الثلث في تركته ، والثلثين لاخيها ، وقد حدث منذ بضعة أشهر أن حولت مس جوان والتون جانبا كبيرا من رصيدها الى حساب أخيها عندما كان مشغولا باحدى الصفقات الكبيرة ، ويبدو أنه ـ للاسف ـ نسي هذه الحقيقة عندما سحب كل رصيده بما فيه من مال أخته • وأعتقد أن لاخته نحو ثلث مليون من الجنيهات التي سحبها

وقال المدير بعد أن فحص مع جيمي خـــزانة ركسي الحديدية في البنك دون أن يجدا بها شيئا ذا قيمة :

ـ أليس المال موجوداً في بيت المستر والتون ؟ هل فتحت خزانته المالية ؟

ـ لا ، لقد جئت هنا لاحصل على طريقة فتحها ، ولن أدخر وسعا في العمل على فتحها مهما كلفنا الأمر

وعاد الى بيت ركس ، وأخبر جوان بما سمعه من مدير البنك ، فقالت :

ـ انني لا أدرى لماذا فعل ركس هذا

ـ اعتقد اني اعرف السبب ، لقد كان ركس يخشى أن ينفذ كوبي تهديداته بوسائل خفية شيطانية ، وهكذا وقع في الفخ وسحب كل أمواله من البنك ، وأنا واثق أنها في الخزانة هنا

وكان يعرف كل شيء عن هذه الخزانة ، لان ركس حدثه عنها كثيرا، وعن مناعتها ضد الحريق والسرقة ، وكذلك كان واثقا من أن الشركة التي صنعتها تعرف كيف تفتحها ، ولكنه فوجيء،عند الاتصال بمدير الشركة في شيفلد ، بأنه لا يمكن فتح الخزانة الا اذا حملت الى مصانع الشركة ، ثم اختتم المدير حديثه قائلا :

ـ ان الرجل الوحيد الذي يستطيع أن يفتحها تحول ـ للاسف ـ من عامل مجد في شركتنا الى لص خزائن خطير

ـ من هو ؟

ـ انه كاويلز ، المعروف في دوائر البوليس باسم نيبي كاولز

ولم يكن هذا الاسم غريبا على جيمي

كان كاويلز رجلا قصيرا متين الجسم ، تحول عن طريق الشرف والاستقامة الى عالم الجريمة بسبب اتصاله بفتاة لعوب تدعى جوليا كانت تعمل وصيفة في قصر أحد ملوك الحديد بضواحي شيفلد ..
وقد غادر الرجل السجن أول مرة وهو حاقد على النساء جميعا أشـد الحقد ، واستقر به المقام في أحد المنازل الشعبية بحي لامبث . وقد استطاع هذا الرجل ، نيبي كاولز ، حين استدعاه جيمي ، أن يفتح الخزانة بعد ساعات من العمل الشاق ، ولكن الخزانة كانت خاليـــة تماما

الفصل الخامس

مسدس كوبى

كان الساقى الكهل باركر يغلق الباب الخارجى لمنزل المستر كولمان بالرتاج من الداخل عندما نهضت دورا من مقعـــدها بالردهة فى الطابق الارضى ، وطوت الكتاب وتمطأت وتوجهت الى السلم للصعود الى غرفة نومها • وكان والدها قد استدعى للسفر الى الريف لاسباب هامة ، فسافر على مضض ، تاركا ابنته بمفردها فى المنزل مع الخدم، وفيما هى تصعد السلم توقفت فجأة وقالت لباركر :

ــ ألم يتصل أحد تليفونيا بى يا باركر ؟

ــ لا يا آنسة

ــ باركر ، هل أنت واثق من أنه لم يحـــدث شىء أكثر مما قلت عن المستر وآلتون ؟

ــ لا يا آنسة ، أبدا ، لقد سأل عن الغرفة المجاورة ، فلما علم أنها غرفتك ضحك فى سعادة وابتهاج

ــ اذن فقد كان سعيدا حتى آخر لحظة

ــ نعم يا آنسة ، لم أره فى حياتى سعيدا كما رأيته وهو يمضى الى غرفته

ــ ألم يلق عليك أية أسئلة ؟

ــ لا ، أبدا ، لم يسألنى الا عن الطريق الى الغرفة المخصصة له

ــ ألم يسألك عن الطريق الى سلم الخدم ؟

ــ لا يا آنسة

ــ حسنا يا باركر ، طاب مساؤك

ومضت دورا الى غرفة نومها المطلة على ميدان بورتلاند ، وكان لكل طابق شرفة ضيقة تحيط به ، تتصل بغرفاته الامامية عن طريق أبواب مزدوجة (مصاريع خشبية وأخرى زجاجية) • وقد فتحت دورا باب غرفتها المؤدى الى هذه الشرفة ، وأخذت تطل منها على الميدان ، وأعلنت الساعة انتصاف الليل ، ومع هذا كان ضجيج الحفلة الراقصة المقامة فى « قاعة الملكة » فى الناحية الاخرى يصل الى اذنيها خافتا ممزوجا بأصوات أبواق السيارات وحركة المرور بالميدان

وأخيرا آوت الى فراشها ، ولم تلبث أن استغرقت فى النوم رغم متاعبها النفسية ، ولم تدر كم دقيقة ـ أو ساعة ـ نامت ، ولكنها استيقظت فجأة وقد خيل اليها أنها سمعت حفيف وقع أقدام متلصصة ومدت يدها الى الساعة ذات الميناء الفسفورى ، فاذا هى الثالثة صباحا وبضع دقائق ، وكانت واثقة أن الصوت الذى أيقظها لم يكن أزيز السيارات فى الميدان ، ولا زفيف المطر المتساقط ، بل ولا هدير الرعد بين الحين والآخر

وجلست فى فراشها برهة ، حتى اذا رأت وميضا خافتا وراء زجاج النافذة ، وضعت مطرفا (شالا) على كتفيها ، وهبطت من الفراش لتغلق المصراع الخشبى ، وفيما هى تنحنى نحو المصراع ، اذا بالوميض يتكرر ، واذا هى ترى فى ضوئه شخصا فى ملابس سوداء متربصا فى الجانب البعيد من الشرفة ، فأطلقت صيحة فزع ، ثم أغلقت المصراع الخشبى بسرعة رغم فزعها وارتعاد يديها ، وما هى الا لحظات حتى كانت مندفعة على السلم الى جناح الخدم

وأقبل باركر نحوها فى معطفه ، فقالت له :

ـ باركر ، يوجد رجل فى الشرفة بالقرب من غرفة نومى ، انه ولا شك لص

وصعد الرجل الكهل الى غرفته الخاصة حيث استحضر مسدسه ، ثم تقدم دورا فى الهبوط على السلم ، حتى اذا وصلا الى غرفتها ، لاحظت أن النافذة الاخرى بها كانت مفتوحة وتذكرت أنها نسيت ـ فى لحظة فزعها ـ أن تغلق المصراع الزجاجى بعد اغلاقها للمصراع الخشبى

وقال الساقى الكهل باركر بعد أن طاف بالشرفة وعاد وقد ابتل معطفه بالمطر :

ـ لم أر أحدا يا آنسة ، ولكنى وجدت احدى اصص الزرع محطمة ولعل الريح هى السبب

وفى تلك اللحظة وقعت نظراته على آثار أقدام مبللة بالقرب من النافذة الثانية ، فقال مشيراً اليها :

ـ أنظرى يا آنسة

فلهثت أنفاسها من فرط الفزع وهتفت قائلة وهى تختطف مصباحا كهربائيا صغيراً من فوق المنضدة وتضيئه :

ـ اذن كان هنا رجل ؟

ولم يكن ثمة شك فى وجود هذه الآثار ، فقد كانت تبدو بوضوح على الغبار الخفيف الازرق الذى يغطى الجزء الاوسط من السجادة ، وكان اتجاهها يدل على عبور الشخص المجهول الغرفة من النافذة الى الباب

قالت دورا :

ـ لا شك أنه دخل الغرفة بعد فرارى منها

وارتعد المسدس العتيق فى يد الساقى الكهل وهو يقول بصوت مضطرب :

ـ اذن فهو لا يزال بالمنزل يا آنسة

ـ أسرع باستدعاء بنيت

وكان بنيت ، سائق السيارة ، ينام فى غرفة فوق المرأب «الجاراج» فى الجهة الخلفية من المنزل ، وكان على باركر ـ بعد أن أيقظ السائق تليفونيا ـ أن يهبط السلم ليفتح له الباب الخارجى ، وقد قام بهذه المهمة العسيرة والمسدس لا يزال يرتعد فى يده ، وبعد أن شرح لبنيت الموقف ، شرع ثلاثتهم فى البحث

كان باب غرفة المكتبة مفتوحا على مصراعيه ، ولكن الغرفة نفسها كانت خالية ، ومن غرفة المكتبة كان ثمة ممر يفضى الى ردهة جناح الخدم ، وقد وضح من آثار الاقدام وقطرات المطر المتساقط من ملابس الشخص المجهول ، أنه سار فى هذا الممر ، وقالت دورا وهى تشير الى هذه القطرات :

ــ لا شك أنه كان هنا منذ لحظة واحدة

وعندئذ سمع الجميع صوت البــــاب الخارجى وهو يقفل بقوة ، فاندفع السائق من ردهة جناح الخدم الى الردهة الرئيسية للطابق الاول ، وفتح الباب الخارجى بسرعة ، وخرج الى الشارع ، ولكنه لم ير غير سيارة بدأت فى الانطلاق من الموقف القريب

ولما عجز السائق بنيت عن اللحاق بها،عاد الى البيت وقال لدورا:

ــ لقد هرب اللص فى سيارة ، رأيته وهو يدخل اليها وينطلق بها

ــ هل عرفت رقمها ؟

ــ لا ، لم أكن قريبا منها بدرجة تمكننى من التقاط رقمها ، عجبا! هذه أول مرة أرى فيها لصا يستخدم سيارة فى أعماله الاجرامية

ثم عاد الى الشارع ورفع عينيه الى واجهة البيت حيث رأى انه من اليسير جدا على الرجل الرياضى القوى أن يثب الى الفناء الصغير عبر السياج ، وأن يصل الى الشرفة فى الطابق الارضى ، ومنها ، بالوقوف على سياجها ، يصل الى شرفة الطابق الثانى

وقالت دورا :

ــ ولكن لماذا دخل غرفتى بالذات ؟ لماذا لم يدخل الى الطابق الاول؟

فقال لها باركر ان أبواب ونوافذ الغرفات بالطابق الاول كانت كلها مغلقة ، ثم أردف قائلا بعد عودة الجميع الى الردهة الكبيرة

ــ هل أستدعى رجال البوليس يا آنسة ؟

فهزت رأسها قائلة :

ــ لا أظن أن الامر يستدعى استدعاء رجال البوليس . . . ينبغى أولا أن أخبر أبى واكبر الظن أنه سيرفض استدعاءهم

وفجأة هتف باركر فى دهشة وهو يشير الى منضدة الردهة بالقرب من الباب الخارجى ، ونظر الجميع فرأوا مسدسا طويل الفوهة من نوع « البراوننج » فوقها ، وكان الواضح أن اللص وضعه عليهـا ريثما يرفع رتاج الباب من الداخل عند هربه ، ولم يتمكن من استرداده ، وهو يبادر بالفرار

وقالت دورا وهى تفحص المسدس بعناية :

ــ انه محشو

وأعاد السائق بنيت فحصبه بعد أن نزع خزانة الرصاص منه وقال:
ـ نعم ، ولكن لا أظن أن صاحبه قد ترك اسمه عليه

وأيقظت دورا بالتليفون جيمى سيبنج ، وحدثته بالامر ، فأسرع اليها في سيارة أجرة ، وقالت له بصوتها الصافى وهي تستقبله :

ـ أخشى أن أكون قد أزعجتك بدون مبرر يا جيمى

ثم حدثته بتفاصيل الحادث والمسدس موضوع على ورقة من النشاف أمامها على المكتب ، ولما فرغت قال لها :

ـ ان لصوص المنازل لا يذهبون للسرقة فى سيارات خاصة الافى القصص والروايات ويخيل الى أن بنيت التبس عليه الامر ، ولعل الذى انطلق بالسيارة هو أحد المدعوين الى حفلة اللورد ليفرستوك الراقصة ، وأنا أذكر هذا لانى كنت مدعواً اليها ولم أذهب

ـ ولكن قصر اللورد ليفرستوك فى الناحية المقابلة من الميدان

وكان جيمى فى تلك اللحظة يفحص المسدس بعناية تحت ضوء قوى ، وفجأة هتف قائلا وهو يشير الى اسم محفور بأحرف دقيقة على جانب المقبض :

ـ يا اله لسماء ! انظرى يا مس كولمان ، ان اسم « كوبى » محفور بوضوح على هذا المسدس



الفصل السادس

من هو كوني ؟

كانت الشمس تنشر أشعتها الذهبية على المدينة عندما عاد جيمى الى مسكنه الصغير بحى نايتسبرج ، وبينما هو يدخل غرفته ، أقبل خادمه الوفى البرت حاملا قهوة الصباح ، وتفوح فى الجـو نكهتهـا المنعشة ، وقال وهو يضعها أمام جيمى :

ــ ان اختفاء المستر والتون أمر عجيب يا سيدى

ــ لماذا يا البرت ؟

ــ الا تذكر اختفاءه المفاجىء فى العام الماضى يا سيدى ؟

وكان الخادم البرت احد الذين حاربوا تحت رئاسة ركس والتون فى الحرب العالمية الاولى ، وكان يدعوه دائما بلقب « ميجور » رغم وصول ركس الى رتبة « كولونيل »

وقال له جيمى يسايره فى الحديث :

ــ بلى يا ألبرت ، هل تعنى اختفاءه المفاجىء عندما ذهب لقضاء اجازته السنوية فى مكان مجهول ؟

ــ نعم يا سيدى ، ولعلك تذكر أنك ذات صباح أردت الاتصال به ، وأسفت لانه لم يترك وراءه عنوانا . وقد قلت بالحرف الواحد : « انه لا يليق بأحد أن يختفى هكذا أثناء أجازته دون أن يترك عنوانه لأهل بيته على الاقل »

فأومأ جيمى برأسه قائلا :

ــ كدت انسى هذا ، أجل . لقد اختفى ركس فى أجازة العام الماضى نحو ثلاثة أشهر . كيف نسيت هذه الحقيقة ؟ ولكن . . ما علاقة هذا باختفائه فى هذا العام يا ألبرت ؟

ـ قد يكون له علاقة ، وقد لا يكون ، ولـكنى أذكر انى رأيت المستر والتون أثناء اختفائه فى الاجازة الماضية

ـ عجبا ، ولماذا لم تخبرنى ؟

ـ اننى عادة لا احب الحديث عن السادة المهذبين فى غيبتهم حتى مع امثالهم من السادة المهذبين ، واذا نظرنا الى الموضوع من جميع زواياه لالتمست لى العذر فى صمتى . لقد رأيته يومذاك فى مقاطعة جلوسستر فى اليوم الثامن من شهر اغسطس ، وانا أذكر التاريخ لانه نفس اليوم الذى تزوج فيه أخى ، وقد سمحت لى حينذاك بأجازة ثلاثة أيام

ـ نعم . نعم ، انى اذكر هذا تماما

ـ بعد أن رحل أخى مع عروسه لقضاء شهر العسل ، مضيت لزيارة بعض الاقارب فى القرية المجاورة .. قرية سير بلاى ، وفيما كنت أعبر القنطرة النهرية من خارج القرية ، اذا بى ارى رجلا رث الملابس شعرت أنى رأيته من قبل ، كان يرتدى ملابس رثة للغاية ، بدون بنيقة (ياقة) للقميص ، وصدره عار ، ووجهه ملوح بحرارة الشمس ، ولحيته خشنة مرسلة ، ولم يرفع وجهه نحوى لأتأكد من سمات ملامحه ، ولكنى ما كدت أصل الى سير بلاى حتى تذكرته .. انه المستر والتون

ـ المستر والتون ؟! هل أنت واثق من هذا ؟

ـ نعم ، كل الثقة ، وقد بلغ من ثقتى أنى عدت لأتحدث اليه وقد حسبته يقيم فى خيمة بالعراء ، ولكنى لم أجده فى مكانه ، ومضيت أبحث عنه فى القرية المجاورة ولكن أحدا لم يره . وانا أقسم انه هو المستر والتون ، وانه لم يعبر الطريق الى سير بلاى ، وانه لا يوجد طريق آخر

ـ لعله سار على ضفة النهر ؟

ـ لا ، ليس للنهر ضفة ممهدة يمكن السير عليها ، لا .. لقد اختفى تماما ، وكانت هناك حانة قريبة ذهبت للسؤال عنه فيها ، فقال روادها انهم لم يروا احدا غريبا عن الناحية ، ثم سألت ملاح زورق كان راسيا على ضفة النهر فقال انه رأى الرجل ذا الملابس القديمة واللحية المرسلة والوجه الملوح ، ولكنه لا يعرف أين ذهب

ـ ولماذا لم تخبرنى بهذا الامر فى حينه يا البرت ؟

ـ اننى لا احب عادة ان ادس انفى فيما لا يعنينى ، كما انى ـ كما سبق أن قلت ـ اكره الحديث عن السادة المحترمين بما لا يحبون
ـ وماذا كان يفعل فى جلسته على ضفة النهر يا ألبرت ؟
ـ كان يلعب بثلاثة أحجار صغيرة مستديرة ، يقذفها الواحد بعد الآخر فى الهواء ثم يتلقفها كما يفعل الحواة

وكتم جيمى صيحة دهشة كادت أن تفلت من بين شفتيه .. ذلك انه يعرف ان « لعبة الكرات الثلاث » من أحب الالعاب الى ركس فى أوقات الفراغ ، وكان قد تعلمها أثناء المرحلة الدراسية ، وأصبح فخورا بها عندما أتقنها ، ولم يكن البرت يعرف هذه الحقيقة عن ركس ، ومن ثم أكدت ملاحظته البسيطة كل ما قاله عن رؤيته لركس فى الصيف الماضى وفى تلك الحالة العجيبة . فكر جيمى بسرعة ثم قال :

ـ البرت ، اذهب غدا الى قرية سيربلاى ، ولا تدخر وسعا فى البحث والتحرى عن المستر والتون ، فلعل أن يكون له كوخ خاص فى تلك المنطقة يأوى اليه كلما أحس بالحاجة الى الهدوء والاستجمام ، واذا علمت بأى نبأ عنه فبادر الى الاتصال بى تليفونيا ، ويمكنك ان تستقل قطار الثامنة فى صباح الغد المتجه الى جلوسستر



انتهز جيمى أول فرصة سانحة واخبر جوان بما سمع من البرت ، فقالت له :

ـ اننى لم أعرف أبدا اين امضى ركس اجازته فى العام الماضى ، ولكنى اذكر انه قام ذات صيف برحلة سيرا على الاقدام فى أنحاء روسيا ، ولم يعرف أحد ـ حتى أبى ـ أين ذهب يومذاك
ـ أليس له أصدقاء أو معارف فى جلوسستر ؟
ـ لا اعرف ، ولكنى أذكر انه لما عاد اخيرا كان ملوح الوجه جدا اما ملابسه فلم يكن فيها عيب ما

ولم يذكر لها شيئا عن « اللص » الذى اقتحم منزل المستر كولمان ، لان دورا التمست منه أن يتكتم هذا الموضوع حتى يعود أبوها ويتصرف فيه كيفما يتراءى له ...

ولما عاد المستر كولمان ، أصر بدوره على تكتم هذا الحادث حرصا

على سمعته كموظف حكومى كبير — كما فعل عند حادث اختفاء ركس يوم عرسه — ولكنه قرر أن يحتفظ فى بيته بسلاح نارى لحماية نفسه وابنته اذا تكرر هذا الحادث

وفى ميدان ترافلجار ، فوجىء جيمى باحدى الصحف تنشر فى صفحتها الاولى ، وبالخط العريض نبأ « المليون الضائع » ، فاشترى نسخة منها ، وراح يقرأ فيها تفاصيل اختفاء ركس والتون فى صباح اليوم الذى كان مقررا فيه زواجه بالمس دورا كولمان ، ثم اختفاء مبلغ المليون جنيه الذى سحبه خلال الاسبوع السابق من البنك ، وعدم عثور المفتش جيمى سيبنج — صديق المختفى الحميم — على المبلغ الضخم فى خزانته الحديدية

وأحس جيمى بالقلق وهو يقرأ هذه الاخبار ، فقد علم أن ناشرها يعرف من دقائق الحادث ما يعرفه هو وجوان ، ومن ثم اتصل بها تليفونيا من أقرب مكتب تليفون عام ، وسألها قائلا :

— هل قرأت صحف بعد الظهر يا جوان ؟

— نعم ، ولكنى أؤكد لك انى لم أقدم لمندوب هذه الصحيفة اية معلومات ، كل ما فعلته هو أنى أيدت المعلومات التى توصل اليها عن الموضوع

— اذن فقد رأيت مندوب الصحيفة ؟ متى كان هذا ؟

— جاء فى السابعة من صباح اليوم يحمل كل الحقائق التى ظهرت فى صحيفته بعد ظهر نفس اليوم . وقد طلبت منه أن يلتقى بك أولا ، ولكنه أصر على أن يعرف رأيى فى هذه المعلومات التى ظفر بها ، وكانت مكتوبة بالتفصيل فى صفحة كاملة بخط يده

— هذا عجيب

— لقد خطر لى ...

— خطر لك اننى انا الذى زودته بهذه المعلومات يا جوان . ان هذا آخر شىء افكر فيه



وانطلق جيمى فى سيارة اجرة الى صحيفة ايفننج ميجافون التى كانت أولى الصحف فى نشر انباء هذا الحادث ، وهناك استقبله رئيس التحرير قائلا :

ـ جاءتنا هذه المعلومات فى الليلة السابقة ، سلمت الينا يدا بيد ، وفى مقدورى أن أطلعك على النسخة الاصلية

ولما أطلع جيمى على الاصول الخطية للمعلومات ، أدرك فورا أنها مكتوبة بخط « كوبى »

قال رئيس التحرير :

ـ اذن فالحقائق التى نشرناها لم تخالف الواقع فى شىء ؟

ـ نعم ، انها مطابقة للواقع تماما

ـ استلمها محرر الصباح وأرسل مندوبا لتأييدها من مس والتون، اذن فكوبى هو الكاتب لهذه المعلومات ؟ عجبا ! لقد ظننت أنه مات وانتهى لأننا لم نسمع عنه منذ أشهر ، اللهم الا اذا ...

ـ اذا ماذا ؟

ـ الا اذا كان لانتحار زميلك المفتش ميللر علاقة بكوبى هذا

فقال جيمى بحدة واستنكار :

ـ لماذا تفترض وجود مثل هذه العلاقة ؟

ـ اننى لا أدرى ، ولكن الشائعات تملأ جو شارع فليت عن انتحار ميللر ، وهى من نوع الشائعات القاسية التى يتبادلها المحررون فيما بينهم عادة

ولم يكن جيمى على استعداد للافاضة فى الحديث عن ميللر ، ومن ثم نهض حاملا مخطوط كوبى وهو يسأل نفسه عن السبب الذى دفع بهذه الشخصية الغامضة الى نشر حادث اختفاء ركس والتون فى الصحف ، ما هو الهدف من هذا ؟ ان كوبى ليس من نوع المجرمين الذين يهتمون بهذه المسائل الثانوية ، انه لا يرتكب شيئا الا لغاية أو منفعة شخصية ، فاذا كان هو المسئول عن اختفاء ركس والمليون جنيه ، فان من صالحه أن يظل الحادث بعيدا عن أذهان الرأى العام ، وان الضرر كل الضرر عليه أن أذيع أو انتشر ، فكيف يسعى بنفسه الى نشره



ولما حدث جيمى زميله المفتش العجوز ديكر بهـــذا كله ، قال الاخير :

ـ انه يريد أن يربط سرقة المليون جنيه باختفاء ركس والتون ،

وذلك لكى يثبت أن ركس اختفى بعد أن أخذ المليون جنيه معه ، وأنا واثق من أن كوبى ليس مسئولا عن الحادثين : فاذا كان هو المسئول عن اختفاء ركس ، فلن يكون مسئولا عن اختفاء الثروة ، واذا كان هو سارق المليون جنيه ، فان اختفاء ركس قد فاجأه كما فاجأنا نحن

ثم قال بعد ان اعاد فحص كلمات الرسالة التى تحمل المعلومات :

ـ ما رأيك فى شخصية كاتبها يا جيمى ؟

ـ انه رجل فى منتصف العمر ، ويبدو من رسم الكلمات واهتزازها أنها مكتوبة بخط رجل غير متعود كثرة الكتابة

ـ ومع ذلك فان الاسلوب ممتاز والخط جميل

وقبل ان يجيب جيمى اذا بأحد الكتبة يقبل اليه ويسلمه رسالة فى مظروف قائلا :

ـ لقد احضرها رجل يا سيدى

وكانت الرسالة من دورا كولمان ، وهى كما يلى :

« عزيزى جيمى : هل أستطيع أن أراك الليلة ؟ ان أبى فى الخارج ، وأنا جد مهتمة بتبادل الحديث معك عن ركس ، فأرجو أن تسمح لك مهامك الرسمية بساعة فراغ تقضيها معى »

ووضع جيمى الرسالة على المكتب أمامه وهو يتنهد فى اسى . وفجأة قال له المفتش ديكر :

سنقوم الليلة بحملة تفتيش على المنزل رقم ٩٧٣ بشارع جيمونس ، فقد ثبت لنا أن هذا المنزل يدار للمقامرة السرية تحت اشراف رجل يدعى كايزى ، واعتقد ان كايزى هذا يمثل شخصية اجرامية تدير مجموعة من أمثال هذه المنازل المشبوهة ، هل تحب أن تتولى هذه المسألة يا جيمى ؟

فهز جيمى رأسه وقال :

ـ أعتقد أن لدى مايكفينى من هذه المشكلات

ـ نعم نعم ، وأذكر بهذه المناسبة أن اغاراتنا على هذه المنازل المشبوهة تنتهى دائما بالفشل ، ويخيل الى ان ثمة شخصا فى هذه الادارة يحذر مديرى هذه المنازل قبل الاغارة عليها ، ولست اشك فى ان لكوبى علاقة كبيرة بمنازل المقامرة السرية هذه

ـ لماذا ؟

ـ لأنك اذا أعدت النظر فى سلسلة جرائمه وجدت أن جميع ضحاياه

من الذين يترددون على هذه المنازل أو أن الذين يأتونه بأخبار الفضائح عن الضحايا يعملون فى هذه المباءات

ثم التقط من فوق مكتب جيمى رسالة دورا وأشار الى بصمة اصبع واضحة على الركن الايمن من المظروف وقال :

ــ ان الرجل الذى أحضر هذه الرسالة ليس سارقا محترفا

فضحك جيمى وقال :

ــ وكيف نستطيع أن نتأكد من هذه الحقيقة ما لم يكن لدينا جميع بصمات اصابع السكان فى هذه البلاد .. وهذا مستحيل .. ان كل ما لدينا من بصمات لا يزيد عن ألفين أو ثلاثة آلاف للمجرمين وأرباب السوابق والمشتبه فى امرهم ، وانه من المستبعد جدا أن نجد صورة لدينا لبصمة أصبع رجل مستقيم كالذى أحضر هذه الرسالة

فقال ديكر باسما :

ــ هل تعرف الشخص الذى أحضر هذه الرسالة ؟

ــ لا ، لم أسأل الكاتب بعد ، ولكنه ــ بغير شك ــ مواطن محترم

ــ ومن يدرينا ؟ . ماذا لو أننا قمنا بتجربة وفحصنا بصمة اصبعه وقارناها بسجلات البصمات لدينا ؟

وهز جيمى كتفيه فى غير مبالاة بينما استدعى ديكر خبير البصمات وطلب منه أن يتعرف عليها ، وبعد لحظات من الحديث عن الاغارة التى يرتبونها على منزل شارع جيمونس ، اذا بالخبير يعود ومعه صحيفة سوابق جعلت المفتشين يرفعان حواجبهما فى دهشة ، وأخيرا قال ديكر :

ــ هل عرفت صاحب هذه البصمة يا مستر بارنج ؟

ــ نعم ، انها بصمة رجل يدعى « جوزيف فيلمان »

واختطف المفتش ديكر البطاقة من يد الخبير وقرأ فيها ما يلى بصوت مرتفع :

« وحكم على جوزيف فيلمـــان بالسجن ثلاث مرات بتهمة ابتزاز الاموال ، يبلغ من العمر ستة وخمسين عاما ، قضى فى السجون ثلاث فترات ، يشتغل عادة بالخدمة فى المنازل الكبيرة كتشريفاتى أو ساقى ، وبهذه الوسيلة يظفر بالاسرار التى يتجر فيها »

والتقط جيمى سماعة التليفون واتصل بالكاتب الذى أحضر اليه الرسالة وقال :

ـ هل تعرف اسم الرجل الذى سلمك الرسالة يا هايد ؟

فأجاب الكاتب قائلا :

ـ انه رجل فى سن الكهولة .. قال انه يشتغل ساقيا فى منزل المستر كولمان ، وانه يدعى « باركر » !!



وتبادل الرجلان النظرات فى صمت .. باركر الرجل الذى صحب ركس والتون الى غرفة تغيير الملابس فى يوم إختفائه .. الساقى الكهل الرزين الذى يعمل فى خدمة المستر كولمان .. آخر انسان يخطر ببال جيمى انه كوبى

وقال المفتش ديكر الذى كانت هذه الافكار ايضا تمر بذهنه :

ـ كن على حذر شديد يا جيمى فى معاملتك لهذا الرجل ، فانه قد يرشدنا بطريق غير مباشر الى الرأس المدبر ..

فهتف جيمى قائلا :

ـ ولكن هذا عجيب جدا !

ـ ليس هناك ما هو أعجب من اختفاء ركس والتون ، ولهذا أطلب منك أن تلزم أشد الحذر حتى لا تفزع هذا الطائر ، فان هذه الفرصة لن تتاح لك مرة أخرى للقبض على كوبى

ـ أتعتقد أنه كوبى ؟

ـ ان لم يكن هو كوبى نفسه ، فهو يعرفه ، وأنا واثق من هذا ، وهو ايضا يقوم بالعمل الذى يتيح له الاطلاع على اسرار الغير ، فان المستر كولمان من كبار موظفى وزارة المالية ، ومن المحتمل جدا أن يتبادل مع زملائه الموظفين الاحاديث العامة والخاصة على موائد الغداء والعشاء دون أن يشك أحد فى أن هذا الساقى الكهل الرزين يلتقط كل كلمة من احاديثهم ويحتفظ بها فى ذاكرته القوية . وانت اذا قابلت المستر كولمان ...

فهز جيمى رأسه قائلا :

ـ لا ، لا ، ان المستر كولمان رجل مغرور لا يهمه فى الدنيا الا

سمعته ومكانته ورفعة مركزه بين الناس · وهو بالتأكيد لن يصدق أن باركر مجرم من أرباب السوابق ، وأنه ليس من المعقول ـ وهو الحصيف الذكي ـ أن يخدع فيه هكذا · ولكني سأحاول أن أتحرى عن تاريخ حياة باركر وعن الشهادات المزيفة التي قدمها للمستر كولمان عند التحاقه بالعمل عنده

وأرسل جيمي احدى النساء العاملات في ادارة المخابرات السرية الى الباب الخلفي لمنزل المستر كولمان وهي متنكرة في ملابس الغجريات قارئات الطالع ، وقد استطاعت المخبرة ، بالحديث مع احدى خادمات المستر كولمان ان تزود جيمي ببعض المعلومات عن باركر ، فقالت له انه التحق بالخدمة في المنزل منذ عامين او ثلاثة ، وانه يقضي أمسيتي الخميس والسبت خارج البيت ، وأن المال موفور بين يديه دائما · وان الخادمة تعتقد أنه مقامر لأنها رأته ذات يوم يتدرب على لعب الورق في غرفته أو لعله كان يرتب مجموعة الورق ترتيبا خاصا يضمن له الربح في اللعب. أما أقاربه أو معارفه ، فان الخادمة لا تعرف عنهم شيئا · ثم قالت انه يغلق باب غرفته بالمفتاح دائما وأنه لا يسمح لأحد بدخولها ، ولهذا فهو يقوم بنفسه على ترتيبها وتنظيفها

ولم يتوان جيمي بعد انصراف المخبرة من مكتبه عن الذهاب الى منزل المستر كولمان تلبية لدعوة ابنته دورا له ، وكان قد أرسل اليها بطاقة بعد ظهر ذلك اليوم يخبرها فيها أنه آت لزيارتها

وكانت لهذه الزيارة أهمية خاصة أيضا ، فقد أراد أن يرقب باركر عن كثب ، وأن يستفسر من دورا عنه ، وكان شديد الثقة برزانة دورا واتزانها وقوة تأثير شخصيتها على الجنس الآخر



وفي الساعة السابعة والنصف مساء ، ضغط على جرس الباب الخارجي لمنزل المستر كولمان ، ففتح باركر له الباب ، ورمقه جيمي هذه المرة باهتمام خاص ومن زاوية نفسية جديدة ، لقد رآه ـ على اية حال ـ في مثل سن المجرم الحقير فيلمان : كهلا ، رمادي الشعر كبير الانف ، مزموم الشفتين

وصحب باركر المفتش جيمي الى غرفة الاستقبال بعد أن استلم

منه معطفه وعصاه وقال له :

ــ ان الآنسة دورا فى الخارج يا سيدى

ــ فى الخارج ؟ ان لدى موعدا معها

ــ أحقا يا سيدى ؟ اذن لهذا السبب قالت لى انها لن تتأخر فى الخارج ، وانه اذا جاء أحد يسأل عنها فينبغي أن ألتمس منه انتظار عودتها ، هل ستتناول عشاءك مع الآنسة دورا يا سيدى ؟

ــ لا يا باركر

وانصرف الساقى ثم عاد بعد لحظات حاملا صحفة القهوة وهو يقول :

ــ لقد تجرأت وأحضرت لك قدحا من القهوة يا سيدى ، هل تفضلها باللبن ؟

ــ لا يا باركر أفضلها سادة

وما كاد جيمى يفرغ من شرب القهوة حتي شعر بثقل فى رأسه ، وبشىء كالخدر يشيع فى جسمه ، وبرغبة عارمة للنوم . وكان باركر يثرثر بالحديث اليه ، ولكنه كان يسمع صوته وكأنه فى شبه حلم ، وحاول أن يحرك ذراعيه أو ساقيه ، ولكنه شعر بها ثقيلة أو مجهدة ، وأخيرا مالت رأسه على الاريكة الكبيرة الجالس عليها ، واذا هو يستغرق فى نوم عميق ..



أفاق جيمى من المخدر ، فوجد نفسه على سرير ذى أعمدة حديدية ، فى غرفة صغيرة مغلقة الباب ، محصنة النافذة بقضبان من الحديد ، ولم يكن يدرى هل كان الوقت نهارا أم ليلا ، فقد كانت الغرفة مظلمة بسبب اغلاق المصراع الخشبى للنافذة ، ولكنه تنبه فجأة على طرق شديد بالباب ، ثم اذا صوت المفتش ديكر يقول :

ــ افتح هذا الباب ، افتحه والا حطمناه

فقال جيمى :

ــ ان الباب مغلق ومفتاحه ليس معى ، أهذا أنت يا ديكر ؟

وخيم الصمت برهة ، ثم سمع جيمى المفتش ديكر وهو يقول :

ــ من بالداخل

ـ جيمى سيبنج ، حطم القفل يا ديكر

وما هى الا لحظات حتى فتح المفتش ديكر الباب عنوة ، ووقف فى مدخل الغرفة ، ومن ورائه اثنان من رجال اسكتلنديارد ، ولشد ما كانت دهشة جيمى حين تبين لهجة الشك فى صوت ديكر وهو يقول :

ـ ماذا تفعل هنا يا جيمى ؟

ـ انني لا اعرف ، اين أنا على كل حال ؟

ـ انك في الوكر الذى يديره كايزى للمقامرة السرية

فوثب جيمى شاهقا وهتف قائلا :

ـ اما انني مجنون أو أنك فقدت الصواب ياديكر

وقال ديكر بنفس اللهجة المفعمة بالشك والاتهام :

ـ أين ملابسك الخارجية ياجيمى ؟

وعندئذ فقط تبين جيمى انه واقف بملابسه الداخلية ، أما الملابس الخارجية فكانت مطروحة على مقعد بالغرفة ، وكان حذاؤه تحت السرير

وأمر ديكر أحد مساعديه باستحضار كايزى ، فلما أقبل بوجهه العريض وملابس السهرة ، قال له المفتش بصوت حازم مشيرا الى جيمى :

ـ ماذا يفعل هذا السيد هنا ؟

ـ يفعل هنا ؟ انني آسف يا سيدى المفتش اذا أفشيت سر زميلك المفتش جيمى ، انني نفسى فى مأزق حرج ، ان المفتش جيمى يعيش هنا

ـ ماذا تعنى بقولك يعيش هنا ؟ هل تعنى أنه يعرف أنك تدير هذا الوكر للمقامرة

فقال كايزى فى لهجة ساخرة :

ـ انه يعرف هذا منذ أمد بعيد .. لطالما دفعت له مبالغ ضخمة عدا نصيبه من الارباح ، ولولا هذا لتم القبض على منذ سنوات

وترنح جيمى فى سيره الى حوض الماء دون أن ينبس ببنت شفة ، حتى اذا وضع رأسه تحت الصنبور المفتوح ، شعر بالالم الذى يعصف

برأسه يخف رويدا رويدا ، ثم تقــدم نحو كايزى متوعــدا وقال له بصوت حاد :

ـ قل هذا مرة أخرى

فقال كايزى متحديا :

ـ ما فائدة المراوغة يا جيمى ، لقد انكشف الامر ولم يبق الا أن أسجن أنا ستة أشهر وأن تفقد أنت عملك

ثم استدار الى المفتش ديكر وأردف قائلا :

ـ كنت أرشوه بمائة جنيه كل أسبوع لكى يحــذرنى مقدما من كل اغارة يشنها علينا رجال البوليس ، وان لدى عشرات من الشهود الذين رأوا المفتش جيمى وهو يبيت بعض لياليه هنا بمعدل ليلتين من كل أسبوع

وأمر المفتش ديكر أحد مساعديه قائلا :

ـ اصطحب كايزى الى الطابق الاول

وبعد انصراف الجميع ، اغلق الباب ، وتقدم نحو جيمى وقال له بصوت رقيق :

ـ والآن ، ما هى الحقيقة يا جيمى

فهز جيمى رأسه وقال :

ـ اننى لا أدرى ياديكر ، كل ما أعلمه أنى شربت قدح قهوة من يد باركر فى منزل المستر كولمان فى هذه الليلة أو الليلة السابقــة أو منذ بضع ليال لا أدرى ، ثم اذا بى أستيقظ فى هذه الغرفة

وبعد أن حدث ديكر فى ايجاز بما حدث له قال الاخير :

ـ اننى أصدقك يا جيمى ، فالواضح أنها مؤامرة لفضحك وتحطيم حياتك ، ولكنى أرى أن الامر اخطر من هذا ايضا . ارتد ملابسك وهلم نسرع الى منزل المستر كولمان لمقابلة باركر ، متى شربت القهوة ذات المخدر ؟

ففكر جيمى برهة ثم قال :

ـ فى نحو الثامنة مساء

ـ الساعة الآن الثانية والنصف بعد منتصف الليل .. جيمى .. يبدو أن كوبى مهتم كل الاهتمام باخراجك من محيط هــذه القضية

ولذلك اتخذ هذه الوسيلة لجلب العار عليك وطردك من الخدمة ، ولا شك أن باركر هو نفسه كوبى

ولما وصلا الى منزل المستر كولمان ، وجداه غارقا فى الظلام ، كما لم يجدا أحدا يفتح لهما الباب من الداخل رغم ضغطهما المتواصل على زر الجرس

وأخيرا قال المفتش ديكر :

ــ هلم نتصل بالمستر كولمان تليفونيا من مكتب التليفون العام فى الجانب الآخر من الطريق

وذهبا الى مكتب التليفون ، وما هى الا لحظة حتى رد عليهما صوت المستر كولمان ، فطلبا منه أن يسمح لهما بزيارته دون أن يخبراه بالغرض من هذه الزيارة ، ولما فتح لهما بنفسه الباب الخارجى ، قال فى غضب وأعصاب مشدودة :

ــ تفضلا بالدخول ، هل بلغت أهمية الامر حدا يدفعكما لزيارتى فى مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟ أما كان يمكن الانتظار الى الصباح يا سيبنج ؟ أيليق ان توقظا رجلا مثلى فى هذه الساعة بعد أن ... حسنا ، هل حدث شىء لباركر ؟

فقال ديكر :

ــ لماذا تسأل عنه ؟

ــ لم يكن بالمنزل عند ما جئت ، وقد انتظرته حتى الواحدة بعد منتصف الليل دون أن يحضر ، ولسوف أطرده من الخدمة غدا ، فأنا لا أتيح للمذنب فرصتين أبدا ، ان هؤلاء الخدم يستغلون كرم أخلاق السادة فيتمادون فى غيهم ، كنت أظن أن باركر مثال الخادم المجد البارع ، فقد جاءنى بأحسن شهادات التزكية ، وانى أخشى ...

فقال ديكر :

ــ اطمئن لم يحدث شىء لباركر بعد ، هل يمكن أن أرى غرفته ؟

فقطب كولمان جبينه وقال :

ــ ولماذا تريد أن ترى غرفته ، انه ليس موجودا بها ، لقد دخلتها ورأيت بنفسى أنه ليس فيها

فقال جيمى بهدوء :

ـ مستر كولمان ٠٠ ان لدى أسبابا تجعلنى أعتقد تماما أن باركر هو المجرم السابق الذى سجن ثلاث مرات بتهمة ابتزاز المال بالتهديد، انه « فيلمان » !

ففغر المستر كولمان فاه وقال فى لهجة الذى لا يصدق أذنيه :

ـ مجرم سابق ؟! لقد جاء الىّ بشهادة تزكيـة رائعة من مخدومه السابق اللورد لاجنهام ، وقد كان دائما مثال الاسـتقامة معى ٠٠ وأذكر أنى لم أنتقد تصرفاته مطلقا

فقال المفتش ديكر وهو يدخل المنزل :

ـ أرجو أن تسمح لنا برؤية غرفة باركر يا مستر كولمان

وفيما هم يجتازون الطابق الثانى ، أقبلت دورا من غرفتها وقالت بقلق :

ـ هل حدث شىء يا أبى

فقال جيمى برفق :

ـ لا شىء مطلقا يادورا

ـ آه ، هذا أنت يا جيمى ؟ انى سعيدة بوجودك ، هل حدث شىء لباركر

ـ لا ، لا شىء

وكانت غرفة باركر فى الطابق الاعلى ، ولم يجـد جيمى وديكر فيها اى دليل ينم عن شخصية باركر الحقيقية او عن المكان الذى فر إليه ، ولما عادا الى غرفة الاستقبال ، أخبرهمـا المستر كولمـان بكل ما يعرفه عن الموضوع فقال :

ـ ذهبت مع دورا الى المسرح ، وكنت قد ألححت عليها كثيرا لتذهب معى ، ولكنها كانت فى حالة معنوية لاتسر ، ومن ثم ٠٠٠

فقاطعه جيمى قائلا :

ـ هل يمكن أن تستدعى دورا للجلوس معنا ؟

وقبل أن يستدعيها والدها ، اذا هى تقبل من تلقاء نفسها وتقول مرة أخرى :

ـ ماذا حدث يا جيمى ؟

فقال والدها وهو يهم بالمضى الى خارج الغرفة :

ـ ان باركر مجرم حقير كان يعيش على ابتزاز المال بالتهـديد ، انه ذئب شرس فى جلد حمـل وديع يا عزيزتى ٠ هـكذا يقول السيدان

ثم اندفع خارجا من الغرفة

وفيما كان جيمى يشرح الامر لدورا ، عاد والدها وهو يفرك يديه قائلا :

ـ حمدا لله ، ان أطقمى الفضية لم تسرق ، لا ولا أى شىء آخر ، هل سرق منك شىء يا دورا

فأشارت اليه بيديها أن إنتظر ، وقالت لجيمى :

ـ أتمم يا جيمى ، تقول انك استلمت رسـالة منى أدعوك فيهـا لزيارتى ، ولكنى لم اكتب ابدا مثل هذه الرسالة

ـ لم تكتبى ؟! اننى أقسم أن الرسالة مكتوبة بخط يدك يا دورا، وأعتقد أن هذه الرسالة معى هنا

ثم دس يده فى جيبه وأخرج الرسالة وقدمها الى دورا التى قالت وهى تومىء برأسها :

ـ نعم ، لقد كتبت هذه الرسالة حقا منذ أسبوع ، كتبتها قبـل اختفاء ركس بيوم واحد ، فقد كنت أريد أن أتحدث معـك بشـأن ركس ، ولكنى غيرت رأيى فى اللحظة الاخيرة وظننت أنى قد مزقتها، ويبدو انى لم امزقها بل القيت بها فى سلة المهملات

وتناول جيمى الرسالة منها ثانية بينما اردفت هى قائلة :

ـ وأنا من عادتى أن أكتب العنـوان على المظروف قبـل كتـابة الرسالة ، ويبدو أن باركر عثر على المظروف واستغله لهذه المناسبة

فقال المفتش ديكر :

ـ ولكنى مع هذا لا أستطيع أن اعلل هذا التصرف من باركر ، أنه تصرف رجل يعرف أنه وقع أخيرا بين السندان والمطرقة ، لقدحاول أن يلصق بجيمى تهمة الرشوة وهو يعلم أنى لن أصـدق بسـهولة مثل هذه التهمة ٠ وبهذه المناسبة ، هل أجد لديك يامستر كولمان شيئا مكتوبا بخط يده ؟

ـ لا ، لا أظن فلم يكن هناك ثمة ما يستدعى كتابته لشىء

وهنا قالت دورا فجأة :ـ

ـ اعتقد ان لدى قائمة مكتوبة بخط يده

ثم غادرت الغرفة وعادت تحمل قائمة وهي تقول :

ـ هذه قائمة بالاوانى التى تتحطم هنا ، فان أبى يهتم بمثل هذه الامور

فقال الوالد :

ـ ولى الحق يا دورا ، فاذا لم يهتم رب البيت بمقتنياته من الخزف والبللور وكل ما هو قابل للكسر ، فان الخدم لا يلبثون أن يأتوا عليها كسرا وتحطيما قطعة بعد أخرى

وألقى جيمى نظرة على القائمة ثم ابتسم وقدمها الى ديكر الذى قال :

ـ نعم نعم ، هذا خط كوبى ولا شك

ـ وهذا هو رأيى أيضا

ولم يبقيا فى بيت المستر كولمان فترة طويلة ، ثم أسرعا الىادارة إسكتلنديارد حيث أصدرا الاوامر الىجميع الاقسام والمراكز بمراقبة مفارق الطرق المؤدية الى خارج المدينة

وفى الساعة السادسة صباحا عاد جيمى الى مسكنه متعبا يرجو أن ينام يوما كاملا ويأسف لغياب ألبرتالذى كان يقوم علىخدمته

وفيما هو يهم باسدال الستائر على نافذته استعدادا للنوم ، اذا به يرى فى الجانب الآخر من الطريق رجلا يسـير بسرعة مرتديا معطفا ثقيلا لان الجو كان فى هذه الساعة المبكرة باردا وقبعته تهبط حافتها الامامية على عينيه ، وكانت أشعة الشمس عند شروقها قد بدأت تملأ الجو بالنور ، وكان الرجـل السـائر ذو المعطف الثقيل لا يكاد يختلف عن غيره من المارة الا بخطواته الخفيفة السريعة٠وكان ثمة شىء فى طريقة سيره يبدو مألوفا ومعروفا لدى جيمى الذى أراد التأكد فأسرع وتناول منظاره المقرب المعلق بالقـرب من النافذة ، وصوب عدساته على الرجل فى نفس اللحظة التى رفع فيها هـذا رأسه ونظر الى نافذة جيمى

وهتف جيمى وهو لا يصدق عينيه :

ـ يا اله السموات !

لقد كان الرجل السائر فى ذلك الصباح ، هو ركس والتون ٠٠٠

الفصل السابع

الرصاصة الطائشة

... واطل جيمي بنصف جسمه من النافذة وراح يهتف مناديا على ركس ، ولكن هذا كان قد انحرف فى أول منعطف بالشارع ، فهبط جيمي مسرعا ، ولكنه عبثا حاول اللحاق به ، فلما ذهب بعد ساعة الى جوان ـ أخت ركس ـ وأخبرها بالامر ، قالت فى ابتهاج :

ـ الحمد لله انه لايزال على قيد الحياة ، وهذا يكفينى

فنظر جيمي فى دهشة الى هذه الفتاة التى بدأ قلبه يخفق بحبها فى صمت وهدوء ، ثم قال :

ـ كيف حال التليفون الآن ؟

ـ لا بأس ، ولكن ...

ـ لكن ماذا ؟

ـ لقد شعرت ذات مرة وأنا أتحدث فى التليفون معك أن هناك من يسترق السمع على الخط التليفونى ، وقد حدث أن سمعت بوضوح شخصا يقول بصوت هامس بمجرد أن بدأت الحديث : « اسكت ، انها تتحدث » لقد كان الصوت خافتا جدا ولو لم تكن سماعة تليفونى بالغة الحساسية لما التقطته ، هل تفهم ماأعني ؟

ـ نعم .. طبعا .. ان شخصا ما استطاع أن يصنع توصيلة سرية لخط تليفونك ، لسوف أتحرى عن هذا الامر ، وحسنا فعلت اذ أخبرتنى

ـ كنت أمس أشعر بالقلق ، ولما حاولت الاتصال بك تليفونيا لم أجدك بالمسكن ؟

ــ لماذا ؟ ماذا حدث ؟

ــ ان رجلين غريبين يتناوبان مراقبة باب منزلنا

ــ اه ؟ أواثقة أنت ؟

ــ نعم ، ويمكنك أن ترى من نافذة غرفة الاستقبال الامامية الرجل الذى يتولى الرقابة أثناء النهار

فمضى جيمى الى النافذة ، واختلس النظر منها الى رجل اشارت جوان عليه كان يتظاهر بالانتظار بجوار صندوق البريد وهو يرتدى بذلة زرقاء ، ويضع يديه فى جيوبه ، وقال جيمى لجوان وهو يحاول أن يتبين ملامح الرجل الغريب من بعيد :

ــ هل انت واثقة انه نفس الرجل الذى كان يراقب المنزل أمس يا جوان ؟

ــ نعم ، كل الثقة

ــ حسنا ، لينتظر قليلا حتى أشرب القهوة ، لانى لو تناولت طعام العشاء فسوف أنام ، وأنا أريد أن اكون فى يقظة تامة خلال الساعات القليلة المقبلة

ــ هل تعرف من هو هذا الرجل ياجيمى ؟

ــ يخيل لى انى أعرفه ، فانه من خريجى السجون

وغادر جيمى المنزل ، ثم توجه مباشرة الى الرجل الواقف بجانب صندوق البريد وضربه على كتفه قائلا :

ــ كيف حالك يا فارنجدون ؟ ظننتك فى السجن

فقال الرجل مصطنعا البراءة :

ــ انك مخطىء ياسيدى ، فان اسمى ويلثورب ، وانى انتظر هنا صديقا لى

ــ ان صديقك لن يأتى ، ويحسن بك أن تصحبنى الى مركز البوليس ، واذا حاولت أن تطلق مسدسك ، فسوف تفقد حياتك فورا

وعبثا حاول فارنجدون ان يخدع جيمى عن نفسه ، واخيرا سار بجانبه مستسلما . وكان رجلا طويلا عريض المنكبين ، استرالى المولد ، كان يعمل من قبل حمالا فى سوق سميثفيلد ، ثم ارتبط اسمه فى سجلات البوليس بجنسيات ثلاث دول أوروبية . وفيما

هما يسيران فى شارع هادىء خال من المارة الا من خادمة كانت تكنس الدرجات الامامية فى مدخل بيت ، اذا بالمجرم يستدير فجأة ويرسل لكمة عنيفة الى وجه جيمى ، ولكن هذا كان يتوقع مثل تلك الحركة الغادرة منه ، فراغ من اللكمة وأرسل فى الوقت نفسه قبضة يده الحديدية الى وجه المجرم ، فاصابه فى الصميم بلكمة القت به على الارض فاقد الصواب ، ولما افاق قال له جيمى بعد أن وضع القيد الحديدى فى يده :

ــ انك مخلوق اشد خطرا من الافعى السامة يا وغد

ولما فتش فى مركز البوليس ، عثر معه على مسدسين محشوين ، وقال له جيمى بعد ان أودعه زنزانة انفرادية :

ــ انك شخص من المشتبه فيهم ، وعقوبة محاولتك الاعتداء على هى السجن ثلاث سنوات ، ومن ثم يحسن أن تعترف

ــ اعترف بأى شىء ؟

ــ باسم الشخص الذى تعمل لحسابه

فارتسمت على شفتى المجرم ابتسامة ساخرة وهو يقول :

ــ هل تراني طفلا غريرا يا سيبنج ؟ كيف تعتقد انى أرشد على الشخص الذى اشتغل لحسابه ؟ ان البقاء فى السجن ثلاثين عاما أرحم من المصير الذى ينتظر اى عضو فى العصابة يفكر فى الغدر بها ، وعلى هذا يمكنك أن تتأكد تماما أنه ليس بيننا جبناء أو خونة أو أعضاء يفكرون ــ مجرد تفكير ــ فى الغدر بزملائهم

ــ هل جوزيف فيلمان هو رئيسك المباشر ؟

فبدت على وجه فارنجدون سمات الدهشة الحقيقية وهو يقول :

ــ جوزيف فيلمان ؟ ماذا تعنى ؟ اننى لم اسمع شيئا عن جوزيف منذ أعوام

ــ انك كاذب ، لقد كان جوزيف يشتغل ساقيا فى منزل المستر كولمان قبل ان يختفى ، وانت تعرف هذه الحقيقة ، هه .. انه هو الذى كلفك بمراقبة منزل جوان والتون ، لا تحاول الانكار فقد ذكر لنا هذه الحقيقة قبل ان يختفى

ومرة أخرى ابتسم فارنجدون فى سخرية وهو يقول :

ــ هذه لعبة قديمة لا تليق برجل مثلك ياسيبنج ، وكل ماأستطيع

ان أقوله لك هو ان حياتك فى خطر

وغادر جيمى الزنزانة وهــــذه الـكلمات تدوى فى أذنيــه .. « حياتك فى خطر »



كان جيمى يعرف أن المجـرم المحترف لايعترف على زملائه فى عالم الجريمة مهما تكن الظروف ، أما الذين يعترفون بسرعة فهم المبتدئون وهواة الاجرام ، ومع هذا فقد رأى أن يقابل لص الخزائن نيبى كاولز الذى قال له ــ وهو يفتح خزانة ركس والتون ــ انه يدين لركس بالجميل ، لانه ــ اى ركس ــ كان يمنحه مبالغ متفاوتة من المال كلما ذهب الى الشركة للاشراف على صنع الخزانة ، وكان يتبادل معه الحديث ، وينصحه ، ويؤكد له انه ليس هنالك ما هو افضل من طريق الشرف والاستقامة

ومرة اخرى اراد جيمى أن يستعين بنيبى كاولز فـدار يبحث عنه حتى وجده أخيرا فى مطعم بحى سـوهو كان خاليــا فى تلك اللحظة من الرواد ، ورفع نيبى عينيـــه حين دخـل جيمى ، ثم نهض يحييه قائلا :

ــ هل من خدمة اخرى أقدمها يا مســتر سيبنج ؟ الم تعثروا بعد على المستر والتون ؟

ــ لا يا نيبى ، لا شك انك مهتم بأمره لانه كان صديقا لك ؟

ــ لا ، لم يكن صديقا بالمعنى المعروف ، ولـكنه كان ناصـــحا ومرشدا ، ولو انى استمعت الى نصائحه لمـا وقعت فى براثن هذه الفتاة اللعوب جوليا ، ولمـا تحولت من طريق الاستقامة والشرف الى طريق الجريمة والظلام

وانحنى جيمى على المنضدة وقال بصوت خافت :

ــ نيبى ، أين جوزيف فيلمان الآن ؟

فتظاهر نيبى بالغباء وقال :

ــ اننى لا أعرف أحدا بهذا الاسم ، ماهى نوع جرائمه ؟

ــ ابتزاز الاموال بالتهديد

ــ آه .. اننى لا أحب هذا النوع من المجرمين ولا أطيق النظر اليهم ، لقـــد حاولوا أن يوقعوا بى تحت رحمتهم لانهم كالـكلاب

المسعورة التى تأكل غيرها من الكلاب ، وان جوزيف فيلمان هذا أسواهم جميعا

وابتسم جيمى فى نفسه وهو يسمع نيبى ينطق بالعبارة الاخيرة بعد أن أنكر منذ لحظة كل معرفة له بجوزيف فيلمان ، ثم قال بهدوء :

ــ كان هذا الرجل يعمل ساقيا فى منزل المستر كولمان بميدان بورتلاند

فأومأ نيبى برأسه وقال :

ــ نعم ، هل اختفى ؟ اذا كان قد اختفى فانى لم اسمع عنه شيئا ، لانه لم يعد يظهر فى مجتمعاتنا ، وكل ما أعرفه انه يستأجر الآن قاتلين محترفين للقيام بمهمة خاصة

ــ هل فارنجدون أحدهما ؟ لقد قبضت عليه هذا الصباح

ــ أحقا ؟ ! عظيم جدا ، اننى عادة لا احب ان افشى اسرار احد ، ولكن . . .

ثم انحنى بدوره نحو جيمى وقال هامسا :

ــ اذا اردت نصيحتى فعليك ان تقبض على المجرم الثانى ، فلا شك انهما يعرفان الشىء الكثير عن كوبى ، وبهذه المناسبة اقول لك أن كوبى قد وضع اسمك فى قائمة المطلوب القضاء عليهم بأى ثمن ، فاذا لم تظفر بكوبى فى اقرب فرصة فسوف يظفر بك

فنهض جيمى وقال وهو يحاول أن يخفى نبرات القلق من صوته :

ــ هل تعرف أين أجد المجرم الثانى ؟!

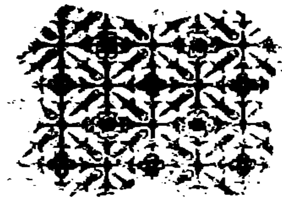
ــ انه متربص لك خارج هذا المطعم ، طاب يومك

ومضى جيمى الى الشارع وهو أشد مايكون حذرا واستعدادا لاية مفاجأة ، وخطر له ان أى واحد من المتسكعين الستة أو السبعة امام المطعم قد يكون هو القاتل المأجور للقضاء عليه . . سار بخطوات سريعة ثابتة الى الطريق العام ، ثم توقف أمام واجهة متجر وهو يتظاهر بالفرجة على المعروضات ، ولما أرسل نظرة خاطفة وراءه ، لمح واحدا من المتسكعين أمام المطعم يتلكأ بالقرب منه ، فأدرك انه القاتل المأجور ، وكان رجلا ضخم الجسم ، يضع قبعته على مؤخرة رأسه ، ويلف عنقه بمنديل ازرق بدلا من ربطة العنق ، ويلوك بين شفتيه عقب سيجار . وفكر جيمى بسرعة ، أن نبأ

القبض على فارنجدون لاشك قد انتشر الآن ، وان هذا الرجل ، هذا القاتل المأجور ، لايقتفى أثره الا اذا كان ينوى القضاء عليه فى أول فرصة سانحة

ولما بلغ شارع واردر ، انعطف بسرعة ، ثم عبر الطريق بخطوات واسعة ، ولما التفت وراءه ، لاحظ ان الرجل لا يزال يتبعه وهو يضع يديه فى جيوبه ، ونظر جيمى الى جانبى الطريق حتى رأى أحد رجال البوليس مقبلا ، فأدرك أن اللحظة الحاسمة قد حانت ، وكان الرجل قد لمح رجل البوليس أيضا ، ولكنه فوجىء بجيمى يستدير اليه ويواجهه بالتحية ، فتظاهر بأنه مواطن عادى يسير فى طريقه بسلام وهو يصفر بشفتيه ، حتى اذا ماوصل الى منعطف فى الشارع بعد مرور الدورية توقف ، ثم اذا بجيمى يسمع دويا مكتوما كدوى فرقعة سدادة الشراب الغازى عند نزعها ، وكانت الرصاصة التى مرقت بجانب وجهه قد اصطدمت بعمود النور القريب ثم ارتدت الى واجهة متجر فحطمت زجاجه

أما القاتل المأجور ، فكان قد اختفى تماما كأنما قد ابتلعته أرضية الشارع



الفصل الثامن

قيمة الزواج

كان المحامي لوفورد كوليت – ابن عم دورا كولمان – يقيم في حي بارك لين ، ويفتتح مكتبا صغيرا – ناجحا – في شارع هنرييت بحي كوفنت جاردن الارستقراطي ، وكان شابا في نحو الخامسة والثلاثين ، ذكيا ، بارعا ، شق طريقه في المحاماة حتى أصبح المال يتدفق الى رصيده في البنك بلا انقطاع كالنهر الدافق . وكان المعروف انه المحامي الوحيد الذي استطاع ان يتحدى ذات مرة المجرم « كوبي » وأن يقنع موكله برفض دفع أي مبلغ لذلك المجرم ، ثم استطاع بعد هذا أن يظفر بالمستندات التي كان يهدد بها « كوبي » السير جون ديكر دون أن يدفع شيئا ثمنا لها ، وبعدها اخذ ضحايا المجرم يهرعون الى المحامي كوليت ليتولى قضاياهم والدفاع عنهم والعمل على انقاذهم من تهديدات كوبي

وفيما كان كوليت جالسا في مكتبه بعد الفراغ من مقابلة احدى موكلاته ، اذا بأحد موظفي المكتب يعلن حضور المفتش جيمي سيبنج ، فأذن كوليت له بالدخول ، ثم قال له وهو يقدم اليه سيجارا بعد تبادل التحية :

– الم تعثر بعد على ذلك الساقي البائس المدعو باركر ؟

– لا ، ولا على ركس والتون أو خادمه الخاص وليام ويلز

– لقد كدت يامستر سيبنج أن تصبح أيضا من بين المفقودين اذا صحت أنباء الصحف المسائية ، الم تقبضوا على الرجل الذي اطلق الرصاص ؟

– لا ولكننا عرفنا انه المجرم المعروف باسم ديجر ، وهو استرالي

النشأة ، وسبق ان أمضى مدة فى سجن سنج ـ سنج الامريكى ، وقد جئت اليك يا مستر كوليت لانى أعرف أنك كنت فى مستهل حياتك العملية تترافع عن معظم المتهمين بجرائم القتل والسرقة وما اليهما ، ولا شك انك تعرف الكثير عن هؤلاء الاشرار فضحك كوليت برفق وقال :

ـ آه ، تلك أيام خلت ، ولست أعتقد انه يوجد الآن أحد ممن عرفت فى تلك الايام ، خارج السجن او على قيد الحياة

ـ الم تتعرف بباركر أو فيلمان فى تلك الفترة من حياتك ؟

ـ لا ، لقد اطلعت على تاريخ هذا الرجل ، وانى أشك كثيرا فى انه مجرم خطير

ـ الا تعتقد اذن انه كوبى ؟

ـ لا ، ان رأيى انه يعمل تحت رئاسة كوبى ، لان باركر ـ أى فيلمان ـ ليست له الشجاعة الكافية لان يكون زعيم عصابة خطيرة ، فقد ذكرت لى دورا ـ ابنة عمى ـ ان يده كانت ترتعد بالمسدس وهو يبحث معها عن اللص الذى اقتحم المنزل من نافذة غرفتها فى تلك الليلة

ـ لم يبق غير سؤال واحد يامستر كوليت .. الم يحدث أن سطا اللصوص على مكتبك هذا ؟

ـ ابدا ، لماذا يسطون على مكتبى ؟

ـ لانهم سطوا على مكاتب الكثيرين من المحامين فى الضواحى والاقاليم

فانتصب كوليت فى جلسته وقال :

ـ آه ، أحقا ؟ اننى لم اسمع بشىء من هذا ، ولكننا ـ معشر المحامين ـ نحاول أن نخفى مثل هذه الحوادث عن رجال الصحف حرصا على أسرار عملائنا

فأومأ جيمى برأسه وقال :

ـ والعجيب فى الامر ان المسئولين فى اسكتلانديارد فاتهم أن يربطوا بين كوبى وبين هذه السرقات

ـ وهل تربط انت بينهما ؟

ـ بالتأكيد ، فان كل ضحية تقع بين يدى كوبى ، تكون عصابته

قد سرقت أسرارها قبل ذلك بأسبوع من مكتب أحد المحامين ، وهذا ماحدث لفتاة انتحرت منذ عامين

ولم يذكر جيمى لكوليت أن هذه الفتاة كانت مخطوبة لركس والتون

وصمت كوليت برهة ثم قال :

ـ هذا امر عجيب ، ورغم ان لى موكلا واحدا يخشى نفوذ كوبى ، فان أحدا لم يسط على مكتبى ، وانا ارجو الا تفزع عمى كولمان والا اسرع واسترد جميع أوراقه من خزائنى

وارتسمت على وجهه ابتسامة الرجل الذى يتمنى لو ان هذا يحدث فعلا . وقال جيمى :

ـ هل يمكن ان اسأل اذا ما كان لديك بعض الاوراق الخاصة بالآنسة دورا ؟

ـ ان لدى مستندات كثيرة تخصها ، ولكنى ، كمحام ، لا استطيع أن اتحدث عنها لانسان ايا كان . ولست أعتقد أن لكوبى اى اهتمام بأمرها

ثم تلفت الى الارفف الكثيرة الدائرة حول جدران المكتب والزاخرة بمختلف السجلات والملفات ، ثم أردف قائلا :

ـ ولا اظن على وجه العموم أن لدى مايغرى كوبى او اعوانه بالسطو على

وانصرف جيمى من مكتب كوليت ، ولكنه التقى به فى الليلة نفسها بنادى بول مول الذى ينتسبان اليه . الا أن وجه كوليت ـ وهو جالس يدخن السيجار الرفيع ذا الرائحة الكريهة ـ لم يشجع جيمى على الجلوس اليه وتبادل الحديث معه



آوى جيمى الى فراشه مرهقا متعبا بعد كل هذه الساعات المتواصلة من اليقظة والعمل المستمر ، ثم استيقظ ـ كالمعتاد ـ فى السابعة صباحا حيث اقبل عليه خادمه الخاص البرت حاملا صحفة القهوة ، قائلا له :

ـ لقد جبت انحاء مقاطعة جلوستر ، وسألت كل بيت وكوخ فى قرية سير بلاى وما يجاورها ، ولكنى لم أجد أحدا يعرف المستر

ركس والتون أو سبق أن رآه فى الصيف او فى عطلة نهاية الاسبوع
فتثاءب جيمى وقال وهو يتمطى :
ـ أنا شخصيا لم اكن اتوقع ان تجد شيئا عن المستر والتون هناك يا البرت، حسنا ، اتصل بالادارة تليفونيا واسأل عن آخر الانباء
وغاب البرت لحظات ثم عاد يقول :
ـ ان المفتش المنوب يقول ان اللصوص اقتحموا مكتب المستر كوليت المحامى الليلة الماضية وان التبليغ عن السرقة تم الآن فقط
ووثب جيمى من فراشه ، وبعد أن إستحم وارتدى ملابسه وتناول افطارا خفيفا انطلق مسرعا الى مكتب المستر كوليت المحامى حيث رأى جميع السجلات والملفات والاوراق والمستندات والوصايا متناثرة على الارض بعد ان انتزعت من أماكنها على الارفف ، وكانت ادراج المكاتب محطمة بسبب فتحها عنوة ، وكان ثمة آثار واضحة لمحاولة فتح خزانة صغيرة فى ركن الغرفة . أما المستر كوليت فلم يكن قد وصل بعد
وسأل جيمى زميله المفتش المختص بالنظر فى امر هذه السرقة قائلا :
ـ كيف اكتشفتم هذا الحادث ؟
ـ رأى أحد رجالنا شخصا يخرج من باب المكتب مسرعا فى الخامسة صباحا ، وقد حسبه لاول وهلة خارجا من باب متجر بيع الفاكهة بالجملة ، ولكنه تبين عند اقترابه من المكان أن الباب المؤدى الى مكتب المحامى كوليت مفتوح ، فدخل مسرعا وعرف بأمر السرقة
ـ وهل تعرف على السارق ؟
ـ لا ، لقد رآه من ظهره ، وكان يرتدى معطفا طويلا
وبعد لحظات أقبل المحامى كوليت ، وكانت دهشته وهو يرى منظر أكوام الاوراق المتناثرة فى أنحاء مكتبه تثير الضحك ، وبعد أن فحص الصندوق الخاص بأوراق المستر كولمان وابنته دورا ، قال مجيبا على سؤال جيمى :
ـ لقد سرقت الوثيقة التى يتعهد فيها ركس والتون بتعويض دورا بمبلغ معين فى حالة طلاقه منها ، وذلك بعد الزواج طبعا ،

وهي لا قيمة لها الآن مادام الزواج لم يتم

ـ الم يسرق شيء آخر ؟

فقال بعد ان استأنف البحث بين أكوام الاوراق المتناثرة :

ـ لا أظن ان شيئا آخر قد سرق ، وان الخزانة كما ترى لم تفتح

ومضت فكرة خاطفة في بال جيمي ، فالتفت الى أحد رجاله قائلا :

ـ استقل سيارة واسرع باستحضار نيبي كلولز ، فاني أريد محادثته فورا ، وان كنت اظن أن لا شأن له بمحاولة فتح هذه الخزانة ، لان الواضح أن الذين حاولوا فتحها مبتدئون

وبعد ربع ساعة ، عاد الشرطي مع نيبي كاولز الذي قال مستنكرا :

ـ الا يوجد في البلاد كلها فاتح خزائن غيري يامستر سيبنج ؟

ولما وقعت نظراته على الخزانة ، أردف قائلا وهو يبتسم في سخرية :

ـ هذه محاولة لصوص هواة

ـ لهذا جئت بك يا نيبي ، فأنت ترى أن ماحدث ليس من عمل لصوص محترفين

ـ لصوص محترفون ؟ هه ... ان في مقدور الطفل الوليد أن يفوقهم في هذا اللون من السرقة البدائية ، أنظر الى باب الخزانة ، لقد وضعوا فوق القفل قضيبا حديديا صغيرا ودقوا فوقه ، ان مثل هذه العملية لاتفتح الخزانة ولو استمروا فيها ألف سنة . اذن فهذه حادثة سطو أخرى على مكاتب المحامين يامستر سيبنج أليس كذلك ؟

ـ هل سمعت عن الحوادث السابقة يا نيبي ؟

ـ طبعا ، وشهدت احداها ، ولكنها كانت أبرع من هذه بكثير ، وأنا شخصيا لا افكر في السطو على مكتب محام الا اذا خطر لي السطو على أحد السجون ، فليس في مكاتب المحامين مايستحق ـ في نظري ـ مشقة المغامرة ، واذا كان هناك مايستحق السرقة ، فانك ستحتاج الى جماعة من الخبراء لفحص ماتريد سرقته

ثم فحص واجهة الخزانة ومسح بكمه عليها ، فقال له جيمي :

ـ لماذا تفعل هذا ؟

ـ لان الذى حاول فتحها اما مبتدىء أو هاو ـ كما سبق أن قلت ـ وهو لهذا السبب قد ترك عليها كثيرا من بصمات أصابعه ، وانه من الواجب على الا اترك هذه البصمات لان شعارى فى الحياة هو « عش ، ودع غيرك يعيش »

وكان المحامى كوليت قـــد جمع الاوراق المبعثرة وأعادها الى الصناديق والارفف كيفما كان وهو يقول :

ـ ان ترتيب هذه الاوراق سيستغرق أسـبوعا كاملا ، ولست أدرى اى شيء كان اللصوص يريدون سرقته

ان موقف المستر كوليت من السرقة قد ادهش جيمى الذى كان يتوقع أن يراه ثائرا غاضبا يقيم الدنيا ويقعدها وهو يرى أوراقـه وأوراق عملائه وموكليـه مبعثرة هكذا ، ولـكن كوليت كان يبدو وكأنما هو فيلسوف يتقبل الاحداث بصدر رحب ونفس هادئة ، بل بدا عليه كأن السرقة هدأت من نفسـه أكثر مما أزعجتها ، وقد خطر لجيمى أن هذا الموقف يرجع الى أن الرجل لم يفقد شيئا ذا قيمة

وبهذه المناسبة قال كوليت مرة أخرى :

ـ اننى لم افقد الا وثيقة التعويض فى حالة طلاق دورا من ركس ، وهى لا قيمة لها لان الزواج لم يتم ، ولا ينتظر اتمامه بعد اختفاء ركس المفاجىء ، وهذا هو رأى عمى المستر كولمان أيضا

ـ متى كتبت هذه الوثيقة ؟

ـ فى اليوم الثانى عشر ، وكان الزواج سيتم فى اليوم الرابع عشر

ـ أليس لديك شيء يخص ركس ؟

ـ لا ، انه ليس من عملائى



وعاد جيمى الى مسكنه حيث تناول طعام الافطار ، ثم مضى الى مكتبه بادارة اسكتلانديارد ، وراح يستعرض فى ذهنه كل تفاصيل الموضوع ، ثم تناول قلما وأخذ يكتب لنفسه هذه الاسئلة :

١ ـ لـماذا اختفي ركس ؟

٢ ـ ما علاقة اختفائه باختفاء المليون جنيه ؟

٣ ـ ما علاقة السطو على مكتب المحامى كوليت باختفاء ركس ؟

٤ ــ لماذا يستخدم كوبى قتلة ماجورين لمراقبة جوان ولمحاولة قتلى ؟

٥ ــ هل هناك علاقة بين انتحار المفتش ميللر وهذه الاحداث ؟

وفيما هو يفكر فى هذه الاسئلة ويحاول ان يستنتج لها اجابات يعمل على هديها ، اذا برئيس قسم التصوير الفنى بالادارة يستأذن فى الدخول عليه وهو يحمل اليه نتائج تصوير بقايا الاوراق المحترقة فى درج مكتب ركس

وقال له جيمى :

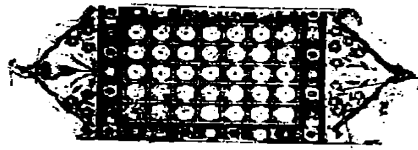
ــ هل وجدت شيئا ؟

ــ استطعنا أن نصور بضع كلمات من بقايا احدى الاوراق المحترقة ، ويبدو انها من قسيمة زواج

وقطب جيمى مابين حاجبيه وهو ينظر بامعان فى الكلمات الباهتة التى أمكن تصويرها واذا به يرى أن اسم الزوج هو ركس والتون ، ولكن اسم الزوجة كان مفقودا ، أما التاريخ فكان : ١٣ مايو من نفس العام

وخيل الى جيمى انه يسمع صوت الحقيقة وهو يدوى فى اذنيه :

« لقد ذهب ركس والتون الى منزل المستر كولمان فى صباح اليوم الرابع عشر من شهر مايو ليتزوج بدورا ، وذلك رغم انه كان قد تزوج بفتاة أخرى فى اليوم السابق ليوم أربعة عشر »



الفصل التاسع

من هي العروس؟

انطلق جيمى ــ وصــورة الكلمات فى جيبه ــ الى المركز الرئيسي لتسجيل الزواج ، وهناك وجد سجلا خاصا بزواج ركس من فتاة تدعى ماى‌ليديارت ذكرت فى قسيمة الزواج أن عنوانها فندق جراند سنترال ، وإن تسجيل الزواج تم فى مكتب تسجيل ضاحية شلسيا

ولما ذهب جيمى الى مكتب شلسيا ، قال له الكاتب ان العروس كانت تخفى وجهها بقناع كثيف ، وأن شــاهدى الزواج اثنان من سائقى سيارات الاجرة : احدهما كان يقود السيارة التى جاءت بهما ، والثانى سائق فى موقف لسيارات الاجرة قريب ، أما الزوج فقــد تطابقت الاوصاف التى ذكرها الكاتب على ركس والتون تماما

فمضى جيمى الى سائقى التاكسى ــ بعد ان عرف اسميهما من كاتب مكتب التســجيل ــ وسألهما عن موضوع الزواج فقرر كل منهما أنه لم ير وجه العروس ، ولكنه واثق من أن العريس هو المستر ركس والتون لانه سبق أن رآه فى الضاحية أكثر من مرة

واخذ جيمى يستعرض هذا التطور الجديد فى المشكلة مع زميله المفتش ديكر الذى لم يستطع ــ بدوره ــ ان يجد اى مبرر لتصرف ركس الغامض ، واخيرا قال :

ــ هل تنوى أن تخبر أحدا من اسرة ركس بهذا الامر ؟

ــ اننى لا أستطيع أن أخبر دورا ، الآن على الاقل ، ولكنى لا أجد مفرا من اخبار جوان

ولكن جوان لم تكن بالبيت ، فجلس جيمى ينتظــرها فى مكتب ركس ، وفجأة خطر له انه لم يفحص نشافة المكتب ، وكان الاحرى

به أن يبادر الى فحصها فى اول فرصة سانحة . وفيما هو يفحص طبقات النشافة بعدسة مكبرة ومرآة ، أقبلت جوان وقالت بعد أن حيته :

ــ آه ، كيف نسينا أن نفحص هذه النشافة ياجيمى ؟ من المحتمل جدا أن تهدينا الى شيء. هل استطعت ان تقرأ شيئا ذا مغزى ؟

ــ لا ، مجرد حروف قليلة

ثم توقف برهة وعاد يمعن النظر فى النشافة وأردف قائلا :

ــ يبدو لى أن هذه الحروف تدل على ايصال استلام

فاقتربت جوان منه وأطلت على الورقة النشاف من فوق كتفه وقرات هذه الكلمات :

« استلمت من المستر ركس والتون مبلغ ... » ثم قالت :

ــ يبدو انه مبلغ كبير لان عدد الاصفار يزيد على الاربعة

وكان ثمة سطران تحت هذه الكلمات ، ولكن قراءتهما كانت فى حكم المستحيل فيما عدا كلمة « اليوم »

قال جيمى :

ــ هل يحتفظ ركس بدفتر ايصالات ؟

فأومأت جوان قائلة :

ــ نعم ، ان ركس دقيق جدا فى هذه الناحية ، فهو لا يعطى احدا ــ حتى انا ــ اى مبلغ من المال مهما كان صغيرا دون ان يستكتبه ايصالا بالاستلام ، وكنت أضيق بهذا الاجراء فى أول الامر ، ولكنى اخيرا اتخذت منه مادة للفكاهة والتندر . انتظر قليلا لسوف آتيك به

وجاءت جوان بدفتر الايصالات من غرفتها لانها كانت قد أخذته مع بعض الاوراق الخاصة بركس من غرفة مكتبه ، وكان دفتر الايصالات من النوع العادى الذى يباع فى كل مكان بقروش معدودة

كان باقيا فى الدفتر من الايصالات التى لم تستعمل نحو النصف ، وراح جيمى يقلب كعوب الايصالات المنتزعة منه ، وبعد أن قلب كعبين أو ثلاثة وقع نظره على كعب ايصال يحمل بالقلم الرصاص رقم المبلغ المختفى . وعاد ينظر فى النشافة مرة أخرى آملا أن يلتقط منها اسم المستلم . وبعد الفحص الدقيق ادرك جيمى أن الشخص

الذى وقع على الايصال باستلام المبلغ لم يكن موجودا بالغرفة بعد أن كتب ركس الايصال ، فذهب ركس اليه وجعله يوقع عليه . ولكن .. اين ذهب الايصال ؟

وهمس جيمى لنفسه فى حيرة : « ترى هل كان الايصال بين الاوراق المحترقة فى المظروف الازرق ؟ »



الايصال المفقود ... وقسيمة الزواج !

ولكن ، من الذى استلم المبلغ المفقود ؟ هل هى الزوجة ماى ليديارت تلك الغامضة المجهولة ؟ لا . ان هذا غير محتمل ، لان المعروف عن ركس انه لايثق بمقدرة المراة الى حد أن يعهد اليها بمثل هذا المبلغ الضخم ، فهو يرى دائما ان المراة مكانها البيت لا مكاتب الاعمال ، ولهذا السبب نفسه لم يحاول يوما أن يستخدم سكرتيرة لتنظيم اعماله

وقالت له جوان حين رات وجهه مقطبا :

ــ ماذا بك ياجيمى ؟ هل جد جديد فى الامر ؟

ــ نعم ، هل تعرفين ياجوان فتاة تدعى ماى ليديارت ؟

ــ لا

ــ هل علمت يوما أن ركس يعرف فتاة بهذا الاسم ؟

ــ كلا ، انا واثقة من انه لايعرف فتاة بهذا الاسم ، ولو كان يعرفها لذكر اسمها امامى . فقد كان دائما يحدثنى عن الفتيات اللاتى يلتقى بهن ، وكانت علاقات ركس المسكين بالنساء محدودة جدا ، ولكن من هى ماى ليديارت هذه ؟

ــ هل تذكرين اليوم الذى التقيت فيه بك عند برج لندن ؟ هل تستطيعين أن تذكرى ماذا فعل ركس فى هذا اليوم عند عودته الى البيت ؟

فقطبت جوان جبينها لتقدح زناد فكرها ثم قالت :

ــ لقد غادر البيت بعد ان تناول الغداء ، أى فى نحو الثانية والنصف بعد الظهر ، وكان يبدو عليه القلق والضيق وتوتر الاعصاب ، واذكر أنه عاد فى نحو الخامسة مساء وربما بعد هذا الوقت بقليل ، وقال لى

انه ذهب لمقابلة دورا ، وكان شديد القلق والشرود الذهنى ولكن ، لماذا هذا السؤال ياجيمى ؟! ماذ حدث ؟!

ــ لدى مايثبت أن ركس تزوج بفتاة تدعى ماى ليديارت فى ذلك اليوم بعد الظهر

فوثبت جوان واقفة وهى تهتف قائلة :

ــ تزوج بفتاة تدعى ماى ليديارت ؟! من تكون هذه الفتاة ؟

ــ هذا ما اريد أن اعرفه . .

ــ ولكن هذا مستحيل . . . مستحيل ! لايمكن ان يهبط ركس الى هذا المستوى . لقد كان خاطبا لدورا ، فكيف يتزوج بفتاة أخرى فى اليوم السابق على . . . هل يمكن ان يرتكب ركس جريمة تعدد الزوجات ؟ من قال هذا ؟

ــ ان الزواج ثابت ــ للأسف ــ فى سجلات مكتب تسجيل الزواج بشلسيا ، والمهم الآن هو ان نعرف من هى هــذه الفتاة التى تدعى ماى ليديارت

ثم حدثها عن الكلمات التى أمكن تصويرها من بقايا الاوراق المحترقة ، وعن تحرياته للوصول الى حقيقة زواج ركس وأخيرا قالت جوان فى استسلام :

ــ الواقع أننى الآن كالتائهة فى الصحراء ، ولا أكاد اعرف سببا أعلل به تصرفات ركس

ــ وهذا هو شعورى أيضا . والآن . . هل يجوز ان نخبر دورا بهذا الموضوع ؟

ــ نعم ، هذا أقل مايجب ان نفعله نحوها ، لايليق بنا ان نخدعها عن الحقيقة بعد اليوم . ولكنى ارجو ان تذهب وتخبرها انت لانى لا أستطيع مواجهتها بعد هذا الذى حدث

ــ حسنا ، سوف امضى لزيارتها وأخبرها بالحقيقة فى اقرب فرصة

وعاد الى مسكنه حيث وجد رسالة من لص الخزائن نيبى كاولز ومعها مظروف يحتوى على بضع رسائل ، وقد قرأ فى رسالة كاولز مايلى :

« سيدى المفتش .. اننى شاكر فضلك ، معترف بجميلك ، مقدر لحسن معاملتك لى ، وانى لهذا السبب أحاول أن اقدم اليك خدماتى رغم مابيني وبين رجال البوليس من عداء مستحكم . اننى أعترف ياسيدى أنك اول رجل بوليس مهـذب رقيق طيب القلب مقـدر للظروف التى تنحرف بالرجل المستقيم الى طريق الضلال . لقـد حدث أمس أنى كنت افتش فى اوراقى القديمة على المظروف المرفق بهذه الرسالة ، وهو يحتوى على الرسائل الغرامية التى أرسلتها لى الغانية جوليا ، ولعلك حين تقرأها ستلتمس لى العذر فى وقوعى بين برائنها ، وتطلع — فى الوقت نفسه — على جانب عجيب من جوانب النفس البشرية ، فمن كان يظن أن فتاة تكتب مثل هذا الاسـلوب الرائع المهذب سوف تغدر بحبيبها الذى ضحى بكل شىء من أجلها ؟! .. أخيرا ارجو لك كل نجاح وتوفيق ... »

ولم يكن جيمى فى حالة نفسية تعينـه على قراءة رسائل جوليـا الغرامية الى نيبى كاولز ، فدسها فى أحد أدراج مكتبه ، ثم اوى الى فراشه ليستريح قليلا ، وفى السابعة مساء ، كان فى منزل المسـتر كولمان حيث استقبله الشاب بنيت — سائق السيارة — الذى حل محل الساقى باركر ، ولما اقبلت دورا اليه فى غرفة الاستقبال قالت له بعد أن بادلته التحية والترحيب :

— جيمى ، ان لديك أخبارا هامة ، ان هذا يبدو على وجهك بوضوح

— نعم ، ان لدى أخبارا ، ولكنها على كل حال لاتسر

— هل حدث شىء لركس ؟

— لا ، ولكن ، هل تعرفين يادورا فتاة اسمها ماى ليديارت ؟

ولشد مادهش جيمى حين رآها تبتسم وتقول :

— تعنى مسألة الزواج ؟

— نعم ، عجبا اتعلمين بأمره ؟!

— كيف لا أعلم وأنا نفسى ماى ليديارت ، ان اسمى الكامل هو دورا ماى ليديارت كولمـان ، وقد تم زواجى بركس سرا فى عصر اليوم السابق على اختفائه



وتمتم جيمى فى صوت الذى لا يصدق أذنيه :

– هل أنت ماى ليديارت ؟ زوجة ركس الشرعيـة ؟ وفى الوقت نفسه أنت دورا كولمان خطيبته التى كان سـيعقد قرانه عليهـا يوم اختفائه ؟

فأومأت برأسها وقالت :

نعم .. اجلس يا جيمى ، لسـوف أحـدثك بكل شيء ، وكان ينبغى أن أخبرك من قبل ، ولكنى كنت خائفة من أبى .. فقد كان ركس شديد القلق بسبب هذه الرسائل التهديدية الحمقاء ، ومن ثم خشى أن يحدث لنا ضرر قبل اتمام الزواج فقرر أن يعجل به يوما ، ولكنى اعترضت لأنى أعرف أن أبى لن يوافق ، فطلب منى أن يتم الزواج سرا ، ثم نعيد تسجيله علنا فى اليوم المحدد ، أى فى اليوم التالى ، وبعد تردد شـديد قبلت اقتراحه ، وتم زواجى به بعد أن ذكرت فى قسيمة الزواج نصف اسمى الكامل ، ولا عقوبة على هذا الاجراء . وهكذ أصبحت زوجته شرعيا فى اليوم الثالث عشر من شهر مايو ، وعاد هـو الى بيته ، وعدت أنا الى بيتى كـذلك . وأنا أعترف أننا تصرفنا بحماقة ، ولـكن عـذرنا فى ذلك أن ركس كان يخشى أن يقع لأحدنا حادث رهيب فى اللحظة الاخيرة

– وهل علم والدك بالامر ؟

– لا . لم أجرؤ على أن أخبره لا سيما وهو الآن فى حالة نفسية سيئة منذ عرف أنه كان يأوى فى بيته مجرما خطيراً دون أن يدرى، والآن ، هل علمت جوان بهذا الامر ؟ لا شك انك أخبرتها . ولعـل المسكينة الآن تحس بأشد الخجل من تصرف أخيها

– نعم ، أخبرتها ، وهى فعلا لا تدرى كيف تواجهك

فضحكت دورا وقالت :

– لسوف أذهب معك وأخبرها بالحقيقة ، أما أنت ياجيمى ، فانى أشفق عليك بعد أن ضاعفنا متاعبك بغرامنا وأعتذر لك كذلك

– يبدو أنى أصبحت اخصائيا فى مشاكل الغرام أخيرا .. فان معارفى من اللصوص يضعون الآن قلوبهم الباكية بين يدى

وذهبت دورا مع جيمى الى جوان ، وبعد تبادل القبلات أخبرتها بالحقيقة ، وبقيت معها حتى تناولت طعام العشاء ، ثم أخـذ ثلاثتهم : جيمى ودورا وجوان يتبادلون الحديث فى الموضوع بعد هذا التطور الاخير ، فقالت جوان :

ـ أعتقد الآن أن ركس اختفى لكى ينقذك يا عزيزتى دورا من خطر داهم ، ألا ترى هذا معى يا جيمى ؟

ـ الواقع اننى لا أرى الا شبكة معقدة من الاحداث الغامضة التى لا أجد لها تعليلا ، ولكنى أرى أن هناك باعثا قويا لاختفاء ركس،وان كنت أوثر لو أنه صمد وواجه كل النتائج

فقالت جوان :

ـ لو كنت ياجيمى في موقف ركس ورأيت أن دورا معرضة للخطر بسببك ألا تفعل كما فعل ؟

فهز جيمى كتفيه ثم قال بعد لحظة صمت :

ـ دورا ‥ الآن وقد ثبت أنك زوجة ركس ، ينبغى أن أخبرك أن ركس سلم لشخص ما مبلغ مليون من الجنيهات ، فهل تعرفين شيئا عن هذا الموضوع ؟

ـ كل ما أعرفه أن هذا المبلغ قد اختفى وحسب

ـ ان لدى ما يثبت أن هناك ايصالا باستلام هذا المبلغ

ـ ايصال بالاستلام ؟ اذن فأنت تعرف اسم المستلم ؟!

ـ لا ، للأسف لم أعرف بعد ، ولكنى أعتقد أن الايصال كان مع قسيمة زواجكما بين الاوراق والمظروف الازرق في الدرج الذى اشتعلت فيه النار من جراء مادة كيميائية وضعها شخص مجهول

ـ هذا عجيب ! ولكن ركس لم يتعود أن يحدثنى أبدا عن شئونه المالية والعملية الخاصة ، ولهذا دهشت حين علمت أخيرا أنه لا يملك شيئا وان كنت لم أهتم كثيرا لأنى أمتلك عن والدتى ثروة لا بأس بها ‥ هل تعتقد أن كوبى هو الذى استولى على المليون جنيه ؟

ـ أعتقد هذا ، ولكنى لا أعرف كيف استطاع هذا اللعين أن يرغم رجلا مثل ركس على تسليمه مثل هذه الثروة الطائلة ، ألم يتحدث معك أبدا في المسائل المالية ؟

ـ كلا ، ولكنه ذكر لى فى معرض الحديث أنه سيعطينى بعد الزواج خمسة آلاف جنيه كل عام لمصروفاتى الشخصية ، كما وقع وثيقة لتعويضى بمبلغ ضخم اذا تم الطلاق بينى وبينه بناء على رغبته ، وكان قد وقعها قبل الزواج بثلاثة أو اربعة أيام ، وقد أودعتها مكتب ابن عمى كوليت ، وعلمت أنها سرقت أخيرا منه . . اتعرف هذا ؟

ـ نعم أعرفه

ـ انني غير مهتمة بضياعها فاني أريد ركس لشخصه لا لثروته .. بل اني على استعداد للتنازل عن ثروتي أيضا في سبيل عودته الى

ثم نهضت فجأة وقالت :

ـ لسوف يعود أبي الى البيت في التاسعة والنصف مساء ، فاذا عاد ولم يجدني فأكبر الظن أنه سيبلغ رجال البوليس عن اختفائي

وصحبها جيمي في طريق عودتها الى البيت حيث اطمأن الى أن أباها لم يسبقها في العودة ، ثم مضى الى مسكنه وهو مستغرق في أفكاره ، حتى اذا بلغ باب المسكن ، ضغط على الجرس وقد أدهشه أن يرى الظلام منتشرا ـ على غير العادة ـ في المسكن .. وفجأة سمع صوتا هامسا يقول له :

ـ كيف حال ساعتك ؟

فتراجع جيمي خطوة وهو يتلفت حوله ، ثم تبين فجأة أن المتحدث هو خادمه ألبرت وأنه يهمس اليه من وراء الباب ، فقال له في حزم :

ـ افتح الباب يا ألبرت .. هل أنت سكران ؟

ـ كيف حال ساعتك ؟

وقطب جيمي جبينه ، ثم تذكر فجأة انه تحدث مع ألبرت في الصباح عن حاجة ساعته الى المسح والضبط ، فقال :

ـ لم أجد وقتا لارسالها الى الساعاتي يا ألبرت

وعندئذ سمع الرتاج الداخلي يتحرك ، ثم اذا الباب يفتح ومصباح النور يضاء ، واذا هو يرى ألبرت واقفا يترنح والدماء تلوث قميصه ، والضمادات تدور حول رأسه ، والمسدس الضخم مشرع في يده وهو يقول :

ـ ظننتك واحدا من المجرمين جاء ليقضي على ، ولم أطمئن حتى سألتك عن حال ساعتك



وقال جيمي في دهشة بالغة وهو يدخل :

ـ ماذا حدث يا ألبرت ؟ هل أصبت بسوء ؟

ـ نعم ، في عواطفي ، وفي رأسي أيضا

ومضى جيمي الى غرفة جلوسه حيث رأى أدراج مكتبه مفتوحة كلها والاوراق متناثرة على الارض ، بينما قال ألبرت :

– لقد فعل المجرمون هذا بعد أن ضربوني على رأسي ضربة أفقدتني الوعي

– حدثني بما جرى يا ألبرت

– طرق شخص على باب المسكن في نحو الثامنة مساء ، فلما فتحته وأنا أحسب أنك الطارق ، اذا بضربة تصيب رأسي ، واذا أنا أفيق بعد فترة لا أعرف مداها فأجد نفسي راقدا على فراشي في الغرفة المجاورة ، واذا أنا أسمع الهرج الذي كان يحدثه المجرمون في هذه الغرفة

– كم كان عددهم ؟

– اثنان على الارجح ، وكانا يفتشان عن شيء في مكتبك ، وكان باركر يسب صاحبه

– باركر ؟!

– نعم ، الرجل الذي كان يعمل ساقيا في منزل المستر كولمان ، وقد رأيته هناك بضع مرات ، وأني أعرف صوته تماما . ولما هبطت من فراشي وتسللت الى الموضع الذي أخفي فيه مسدسي ، سمعا دبيب حركتي ، فأسرع أحدهما وأغلق الباب الفاصل بين الغرفتين بالمفتاح قبل أن أسرع للحيلولة بينه وبين هذا ، وللاسف لم أستطع أن أتبين ملامح وجهه . ولما تمكنت اخيرا من فتح الباب ، كانا قد انصرفا

وفجأة وقعت أنظار جيمي على قصاصة ورق فوق المكتب ، فلما تناولها ، قرأ فيها : « ابتعد عن موضوع ركس والتون والا دفعت حياتك ثمنا »

وكان التوقيع بالحرف الاول من اسم كوبي

وقال جيمي لنفسه وهو يعض على نواجذه :

– حسنا يا كوبي ، لسوف نرى من الذي سيدفع حياته ثمنا

ثم فحص جرح خادمه البرت فوجده أخطر مما كان يظن ، فاستدعى طبيبا جراحا على وجه السرعة ، وبعد أن ضم الطبيب الجرح وضمده، قال لجيمي :

ـ ان حالة الجرح خطيرة يامستر سيبنج ، وأنصح بدخول المصاب احدى المصحات أو باستخدام ممرضة للعناية به

ـ آفضل أن أستأجر ممرضا رجلا

ولكنه لم يجد في تلك الساعة ممرضا خاليا ، وعندئذ خطر له اسم نيبى كاولز فأرسل يستدعيه من بيته بحي لامبث ، ثم استأنف البحث بين أوراقه المتناثرة لكي يعرف عم كان المجرمان يبحثان ، ولكنه وجد كل أوراقه كاملة لم ينقص منها شيء ، فلماذا اقتحم المجرمان مسكنه ؟! ولماذا كادا أن يرتكبا جريمة قتل ؟! وعن أي شيء كانا يبحثان ولم يجداه ؟!

ووصل نيبى كاولزالى المسكن في الواحدة بعد منتصف الليل ، ولم ترتسم على وجهه آية معالم دهشة حين أخبره جيمي أنه استدعاه ليقوم على تمريض ألبرت ورعايته ، فان الرجل لم يزد على أن قال بعد أن سمع بالحادث :

ـ اه ، اذن فقد ضرباه على أم رأسه ؟ أتعتقد أن كوبى وراء هذا الحادث أيضا ؟ لا بأس ، فهذا محتمل جدا ··· كل شيء محتمل · حسنا ، هل تريدنى لكى أبقى معه لأرعاه وأذود عنه اللصوص ؟

ـ نعم ، لهذا ··· ولشيء آخر يا نيبى ، انى آريد أن أستشيرك !

ـ اه ، ان رجل البوليس حين يطلب مشورة رجل مثلى ، فانما يطلب في الواقع أن أتجسس له على زملائي أو أفشي سرا من أسرارهم، وهذا هو المستحيل ، فلست أنا بالرجل الذى يتجسس أو يفشى سرا · أما البرت ، فانى أعرف كيف أبقى بجانبه ، وكيف أمرضه وأرعاه وأغير على جراحه

وهكذا استقر نيبى كاولز في مسكن جيمى لتمريض البرت ، وقد أثبت براعته فى التمريض ، وفى الترفيه عن ألبرت وتسليته كذلك

ولما ذكر جيمي هذا الحادث لزميله المفتش بيل ديكر ، قال هذا له بعد برهة من الحديث المتبادل :

ـ ألم تعرف بعد الشيء الذى كانا يبحثان عنه

ـ لا ، ولكن ربما كان الشيء الوحيد الذى يهمهما ··· لا ، لا ... هذا احتمال بعيد

ـ ماذا تعنى ؟

ـ خطر لى أن عصابة كوبى ربما كانت تسعى للحصول على الرسائل الغرامية التى أودعها نيبى كاولز عندى

فابتسم ديكر وقال :

ـ لا أظن أن كوبى يقوم بمثل هذه المغامرة للحصول على رسائل يهدد بها نيبى أو فتاته ... هل الرسائل موجودة أم اختفت ؟

لست أدرى ، فانى أودعتها أحد أدراج مكتبى ونسيت كل شيء عنها ، أعتقد أنها لاتزال فى مكانها

ولكنه حين عاد الى مسكنه ، لم يجد للرسائل أثرا رغم كل مابذله من جهود فى البحث عنها ، وأخيرا استدعى نيبى اليه وقال له :

ـ نيبى ، ان شيئا قد ضاع منى لا أعرف كيف ضاع ، ألم تر بالمصادفة حزمة الرسائل التى أودعتها لدى لكى أقرأها ؟

فهتف نيبى كاولز فى دهشة :

ـ رسائل جوليا ؟ ما رأيك عنها ؟

ـ لم أجد الوقت المناسب لقراءتها يا نيبى ، ولهذا وضعتها فى درج مكتبى

ـ آه ، كان ينبغى أن تقرأها ، فان لهذه الفتاة أسلوبا عجيبا ، ان فى مقدورها أن تصيغ من المعانى الشاعرية فى ثلاثة أسطر مايعجز عن الاتيان بمثله أى شاعر مجيد

ـ لقد خرجنا عن الموضوع ، ألم تر هذه الرسائل فى غرفتى ؟

ـ لا ، لم أرها ، ولم أحاول أن أبحث عنها

ـ اذن أين اختفت ؟ ! لقد بحثت عنها طويلا بلا جدوى

فحك نيبى ذقنه فى شرود وقال ببطء :

ـ هل تعتقد أن اللصوص قد سرقوها ؟

ـ انى واثق من هذا ، والا فأين اختفت ؟ وكيف ؟

ولما صمت نيبى وطال صمته ، قال له جيمى :

ـ هه ، ما رأيك يا كاولز ؟

ـ رأيى أن لجوليا يدا فى هذه الاحداث بدون أدنى شك

ـ أتعنى أنها تعمل لحساب كوبى ؟

ـ ربما ، فانها فتاة ماكرة بارعة

ـ ولكن الخادمات لا يشتركن فى أعمال خطيرة كهذه

ـ انها لم تكن خادمة عادية بل كانت شبه وصيفة ، ولو أنك قرأت الرسائل لعرفت الطبقة الاجتماعية التى تنتمى اليها ، ان مثل هذه الفتاة لا تنحرف الى طريق الجريمة الا لأهداف بعيدة .. ومن أجل أرباح طائلة

ـ هل هى جميلة يا نيبى ؟

ـ اذا قلت لك انها رائعة الجمال فربما لا تصدقنى وتحسبنى أنظر اليها من زاوية الحب وبعين الرضا التى هى عن كل عيب كليلة ، ولكنها جميلة فعلا

ـ أتحتفظ بصورة لها ؟

ـ لا ، ولو كان لدى صورة لها لما أطلعتك عليها

ـ أين كانت تعمل ؟

ـ وهذا ما لن أذكره لك أيضا ، لقد انتهى كل ما بينى وبينها ، ونالت نصيبها ونلت نصيبى ، وليس من شأنى ان اغدر بها أو أفشى سرها

ـ هل عرفتها فى مكان ما بمدينة شيفلد ؟

ـ نعم ، وكانت تعمل كما سبق أن ذكرت فى قصر أحد ملوك الحديد ، وأذكر لك أننى سأفترق عنك اذا أنت استغللت هذه المعلومات وذهبت للتحرى عنها فى قصور ملوك الحديد بمدينة شيفلد وما يجاورها ، وعلى كل حال ، فان فى تلك المنطقة آلاف الفتيات الجميلات اللاتى كن يعملن فى قصور الاثرياء ، من رجال الصناعة ، ولا يزال آلاف غيرهن يعملن فى هذه القصور ، وان البحث عن جوليا ـ اذا كان هذا اسمها الحقيقى ـ بينهن كالبحث عن ابرة فى كومة من التبن

الفصل العاشر

شبح الموت

صمت جيمى برهة كان يفكر خلالها فيأقوال نيبى عندما استطرد هذا فجأة فقال :

ـ ان كل ما أعرفه عنها ان جوليا عضو فى عصابة هايدن . واذا كنت لا تعرف من هو تود هايدن ، فلا يجوز أنتبقى بين رجال المباحث

وكان جيمى يعرف ـ عن طريق السماع ـ أن تود هايدن مجرم أفاق ، ومحتال مختلس

وعاد نيبى كاولز يقول :

ـ ما رأيك فيما لو كان تود هايدن هو نفسه كوبى ؟

ـ لسوف أطلع على صحيفة سوابقه

ـ انك لن تجد له صحيفة سوابق أو بصمات أصابع لديكم ، لانه لم يقع بين أيديكم أبدا . لقد حكم على أحد أفراد عصابته بالسجن خمس سنوات وكان اسمه تود هايدن ، ولكنه ليس تود هايدن الحقيقى . أما لماذا دخل عضو العصابة السجن منتحلا اسم رئيسه تود هايدن فلأن العصابة علمت انه أوشك أن يفشى سرها فخيرته بين الموت أو السجن بدلا من الرئيس ، وكان تود هايدن يرشو عددا من رجال البوليس ، وبعد سنوات كان على هؤلاء المرتشين أن يقبضوا على تود هايدن بأى ثمن ، فلما قدم اليهم عضو عصابته منتحلا اسمه، رحبوا بهذا الحل ، وهكذا ظن المسئولون الكبار والرأى العام أن تود هايدن وقع فى الفخ

ولم يشأ جيمى أن يناقش نيبى فى هذه الاقوال لانه كان يعلم أن بعض زملائه من ضعاف النفوس لا يتورعون عن قبول الرشوة

واستطرد نيبى يقول :

ـ قد يكون تود هذه المرة هو كوبى،لان المليون جنيه مبلغ يستهوى مجرما مثل تود هايدن فهو رجل كبـــير المطامع ، مسرف فى حب التمثيل وفى استخدامه بين أفراد عصابته ، فاذا طلب من أحـد أن يقوم بدور قسيس فيجب عليه أن يندمج فى هذا الدور تماما بحيث اذا عرف تود أن « قسيسه » لا يقرأ الصلوات والدعوات قبل النوم ، عاقبه بشدة ، واذا أراد هو مثلا أن يقوم بدور خادم · فانه يتقمص الدور لدرجة أنه ينادى كل فرد فى العصابة بكلمة « سيدى » · وقد حدث أن أحد رجاله كان يقوم بدور رجل البوليس أثناء السطو عـلى بنك ، فلما رآه يتصرف بذكاء شديد ، كاد أن يقتله ، لان المعروف بيننا أن الذكاء ينقص رجال البوليس ··· جميعا !!

وطرف جيمى بعينيه ، وتغاضى عن هذه الغمزة اللاذعة ، بينما لم يرتسم على وجه نيبى أى تعبير

وخطر بباله فيما بعد أن اللصوص سرقوا حزمة الرســـائل من مسكنه وهم يظنون أن لها قيمة خاصة دون أن يطلعوا عليها · وأيا كان الامر فقد تيقن ـ أخيرا ـ أن سرقة هذه الرسائل احدى الاخطاء التى يرتكبها اللصوص أحيانا

ولكن الحقيقة الهامة فى هذا الحادث هو أن باركر موجود فى لندن، وأنه يعمل فى ميدانه بنشاط ، ومن ثم فقد ضاعف رجال البوليس جهودهم لمطاردته وحصاره والبحث عنه فى كل مباءة ووكر وماخور

كان جيمى مدعوا لتناول العشاء فى منزل المستر كولمان ، وقـد حرص على تلبية الدعوة ليرى هل أخبرت دورا أباها بأمر زواجهـا السرى من ركس والتون أم لا · واذا كانت أخبرته ، فما هو أثر هذا الخبر على نفسه · ولكنه رأى من النظرة الاولى ـ عند وصوله ـ أن دورا لم تخبر أباها بشىء ، أما حديث المستر كولمان ـ أثناء تناول الطعام ـ فلم يخرج عن نطاق عمله فى وزارة المالية ، وعن «عبقريته» فى تصريف الامور ، وكانت مهمة جيمى أن يومىء برأسه على سبيل المجاملة دون أن يسمع فى الواقع شيئا · وكان العضو الرابع عـلى مائدة الطعام هو المحامى الشاب لوفورد كوليت ، وقد قال هذا لجيمى فى النهاية :

ـ لقد علمت يا مستر سيبنج أننا أصبحنا فى الهم شريكين

ـ هل تعنى حادث السطو على مسكنى ؟ نعم ، لقد تعرضت لمثل ما أصاب أوراقك . وبهذه المناسبة ألم تفقد شيئا آخر ؟

ـ لا ، فيما عدا وثيقة دورا لم أفقد شيئا

ونظر جيمى الى دورا ، فهزت رأسها فى رفق ، فعلم أنها لم تخبر كوليت بأمر زواجها السرى من ركس والتون ، ويبدو ان كوليت لم يلحظ هزة رأسها لانه استطرد يقول :

ـ لو ان الزواج قد تم ، لكان لضياع الوثيقة نتائج خطيرة ، وان لدى بطبيعة الحال نسخة منها ، ولكن بلا توقيع . ماذا أخـــذوا من مسكنك يا مستر سيبنج ؟

ـ لا شىء غير حزمة من الرسائل التى لا تضرنى ، والتى لا أهتم أنا ـ أو صاحبها ـ بغيابها

وعندئذ صاح المستر كولمان مهتاجا :

ـ ما هذا ؟ لصوص ، وسرقات ، وجرائم ، أليس هناك موضوع آخر للحديث غير موضوع اللصوص والسرقات والجرائم ؟ المهم الآن فى هذا كله هل عثر رجال البوليس على اللعين باركر ؟

ـ لا !

ـ ان عجز رجال البوليس عن كشف غوامض هذه الاحداث المتتابعة لا يشجع المواطن المحترم على الثقة بهم

ـ اننا لا نواجه مجرما عاديا يا مستر كولمان

ونهض المحامى كوليت للانصراف ، ثم تبعه المستر كولمان وغادر الغرفة الى مكتبه ليعمل فى بعض أوراق وزارة المالية التى كان قد أحضرها معه ، وهكذا أتيح لدورا أن تنفرد بجيمى بضع دقائق لتقول له :

ـ اننى لم أعترف لأبى بمسألة زواجى من ركس، ولكنى سأضطر الى الاعتراف ان عاجلا أو آجلا ، لان أبى أعرب أخيرا عن رغبتـــه فى زواجى من لوفورد كوليت

ـ لوفورد كوليت المحامى ! ابن عمك ؟

ـ نعم ، وأنا رغم شعورى الطيب نحو كوليت، فانى لم أحس نحوه يوما بعاطفة الحب التى يقوم على أساسها الزواج ، ان سجايا كوليت ممتازة حقا ، ولكنها ليست الصفات التى تسعدنى اذا تزوجته

ـ انك ، على كل حال،لا تستطيعين الزواج الا اذا ثبتت وفاة ركس التون أو استصدرت من المحكمة قرارا بوفاته ، ولكن ركس لا يزال على قيد الحياة

فقالت دورا فى لهفة :

ـ هل أنت واثق بأنه على قيد الحياة ؟ أرجوك ، اخبرنى ؟

ـ كان ينبغى على أن أخبرك من قبل

ثم حدثها عن رؤيته لركس والتون فى ذلك الصباح المبكر فقالت له:

ـ هل أنت واثق بأنه هو ؟

ـ نعم ، وأستطيع أن أقسم على هذا . لقد رأيته بالمنظار المقرب

فنظرت اليه فى عتاب وقالت :

ـ كنت أرجو لو أنك أخبرتنى من قبل ، ولكن لا ، لا شك أنك لم تكن تريد أن تحيى فى نفسى آمالا واهيــة ، كما انك لم تكن تعلم بمسألة زواجى بركس . ولكن ما هو الهدف من اختفائه ؟

ـ لقد حاولت فى الاسبوعين الاخيرين أن أعلل سبب اختفائه ، ولكن بدون جدوى

فتنهدت ونهضت قائلة وهى تمد يدها اليه تصافحه :

ـ لسوف آوى الى فراشى الآن فانى أشعر بالتعب

وانصرف جيمى الى ناد ليلى يرقص فيه الرجال والنساء من الطبقة الراقية الى ساعة متأخرة من الليل ، ولما دخل قاعة الطعام الفاخرة نهض لاستقباله شاب أنيق ، وأسرع للقائه فى ممر خال من الرواد وقال له :

ـ تلقيت رسالتك يا مستر سيبنج وبذلت جهدى للبحث والتحرى، ولكنى لم أجد بين الفتيات العاملات فى لندن فتاة تسمى جوليا تنطبق عليها الاوصاف التى ذكرتها لى

وكان الشاب يدعى فولدر ، ويعمل سرا لحساب ادارة المبــاحث الجنائية ، ولكنه يتظاهر أمام المجتمع أنه من الاشخاص المشتبه فيهم الذين يتصلون بالمجرمين الخطرين ، وكان المجرمون يثقون به دون أن يفطنوا الى حقيقته . وهكذا أصبح كضابط اتصال تتم عن طـريقه الاتفاقيات بين البوليس والمجرمين ، وتنتهى هذه الاتفاقيات فى كثير

من الاحيان الى استرداد الاشياء المسروقة ـ الثمينة منها خاصة ـ وتسليمها الى أصحابها

وعاد جيمي الى مسكنه حيث رأى نيبي كاولز يلعب الدومينو مع خادمه ألبرت فتركهما يواصلان اللعب ومضى الى فراشه

وفي الساعة الثالثة والنصف صباحا استيقظ على صلصلة جرس التليفون ، واذا بدورا تحدثه قائلة :

ـ أهذا أنت يا جيمي ؟ لقد اتصل خادم لوفورد كوليت بأبي تليفونيا الآن

ـ لماذا ؟ ماذا حدث ؟!

ـ يقول الخادم ان كوليت لم يعد الى مسكنه حتى هذه اللحظة رغم انه لم يتعود أبدا المبيت في الخارج ، ورغم قوله للخادم أنه سيعود الى البيت في الساعة العاشرة . اننا نشعر بالقلق عليه يا جيمي ، فهل يمكنك ؟

ـ طبعا ، طبعا

وبعد التحريات السريعة التي قام بها جيمي عن طريق جهاز اسكتلانديارد وردت التقارير كلها بأنه لا أثر للوفورد كوليت في أي مكان : لا في المستشفيات ، ولا في مراكز البوليس ، ولا عند أصدقائه وأقاربه . لقد اختفى فجأة كل من ركس وخادمه ويليام ويلز ، وباركر الساقي ، وجوزيف فيلمان المجرم



كان كوليت يكره ركوب السيارات العامة أو سيارات الاجرة ويهوى رياضة المشي ويفخر بأنه يمشي في اليوم أكثر من اثنى عشر ميلا وهو يقوم بأعماله الخاصة . وهكذا غادر مسكن المستر كولمان بعد تناول العشاء ، وسار في شارع اكسفورد المزدحم ثم انحرف الى ميدان هانوفر حيث كانت الطرق الجانبية المتفرعة عنه خالية من المارة أو تكاد . وبعد أن عبر الميدان ، سار في شارع هادىء يوازي شارع أكسفورد ويؤدي الى مسكنه في بارك لين

وفيما هو يسير ويداه في جيبي سترته ، والسيجارة في فمه ، اذا بسيارة تقف بجانبه فجأة في بقعة خالية من المارة في الطريق ، واذا

برجل يهبط منها وراء كوليت ثم يدس فوهة مسدسه في ظهره ويهمس له بلهجة الامر :

ــ اركب السيارة بسرعة وفي هدوء اذا أردت أن تعيش

وكان صوت الرجل ينم عن جدية التهديد ، فركب كوليت السيارة ، وتبعه الرجل الذى أغلق الباب خلفه بسرعة ، واذا السيارة تنطلق ، ونوافذها مغلقة وعليها ستائر مسدلة بحيث لم يكن ينفذ منها وميض من أضواء الشارع

وقال كوليت لآسره الجالس أمامه في الظلام :

ــ ما معنى هذا ؟ والى أين أنتم ذاهبون بى ؟

ــ سوف تعرف حالا ... حذار أن ترتكب معنا أية حماقة تقضى عليك

وبعد ساعتين ونصف ساعة كانت السيارة خلالها تتجه ــ كما أحس كوليت ــ نحو شاطىء بحر المانش ، وعندما توقفت قال الرجل الغامض :

ــ لسوف نحجب عينيك الآن بمنديل ، فحذار من التحرك أو محاولة الهرب

ــ هل هذه الحماقات كلها ضرورية ؟

ولم يجب الرجل ، وانما ربط منديلا حريريا على عينى كوليت ثم قاده الي خارج السيارة ، وهبط به بضع درجات ، فسمع كوليت خرير الامواج ، ثم حفيف المجاديف ، وشعر باهتزاز القارب الذى ركبه مع آسريه ، وبعد نصف ساعة تقريباً ، ساعده آسروه على الصعود الى السفينة ، وهناك ، على ظهرها سمع همسات تدور بين بعض الرجال ، ثم اذا هو يقاد الى سلم ضيق ، ثم يسير في ممر ضيق كذلك الى أن شعر بباب يفتح ويدخل ما يشبه غرفة ، ثم اذا العصابة ترفع عن عينيه فيجد نفسه في صالون سفينة فاخر الاثاث ، تنسدل على نوافذه المستديرة ستائر من نسيج ثمين ، وتنطرح على أرضيته سجادة تغوص فيها الاقدام ، وتقوم في جانبه الاقصى مدفأة ذات اطار فضى على قاعدتها العليا اناء أزهار ناضرة يفوح شذاها في جو الغرفة

وتلفت لوفورد كوليت حوله في دهشة وقد أدرك أنه في يخت

خاص فاخر ولا شك . ولما نظر الى آسره وجده يخفى وجهه بقناع كثيف ، فقال له متهكما :

ـ هل أستطيع أن أعرف الذى أتشرف بضيافته ؟

فقال الرجل ذو القناع :

ـ يمكنك أن تسميه كوبى

وفى تلك اللحظة فتح باب فى أقصى الصالون ، ودخل منه رجل فى ملابس السهرة ، فتقدم كوليت نحوه خطوتين وهو يهتف فى دهشة بالغة :

ـ أهذا أنت ؟ ! . . . أنت ؟ !

وابتسم الرجل فى التواء وقال :

ـ هل فوجئت بى يا كوليت ؟

وكانت البسمة ترتسم على شفتيه فقط ، أما عيناه ، فقد رأى كوليت فيهما شبح الموت



الفصل الحادي عشر

ديجر يعترف

قال المستر كولمان لجيمي حين ذهب هذا للتحدث اليه بشأن لوفورد كوليت :

ـ هل تعنى أن كوليت قد اختفى فجأة ، وبلا مقدمات ؟

ـ هذا ما يبدو ، فانه شوهد آخر مرة وهو ينحرف الى شارع ويلتون المؤدى الى بارك لين حيث يقيم ، شاهده شرطى المنطقة وهو يسير بهدوء واضعا يديه فى جيب سترته والسيجار فى فمه

ـ هذه فضيحة ، انها لمأساة ، لاشك ان كوبى وراء هذه الاختفاءات كلها ، ومن يدرى ، من المحتمل أن يكون كوليت مقتولا الآن

وهز جيمى رأسه وقال :

ـ ان كوبى لم يرتكب ، حتى الآن ، جريمة قتل مباشرة

ـ ومحاولته اغتيالك ؟

ـ هذه مسألة أخرى

وأقبلت دورا فى تلك اللحظة بوجه شاحب ينم عن الحالة العصبية التى تعانيها بسبب هذه الاحداث المتوالية ، وقد قال جيمى لنفسه حين رآها : لشد ما أخشى أن تكون أعصابها فى طريق الانهيار

وانصرم اليوم دون جديد من الانباء ، ولكن ما أن بلغت الساعة العاشرة مساء حتى اشتعلت ادارة اسكتلانديارد بالنشاط ، وحتى زخرت جميع المراكز البوليسية فى أنحاء البلاد بالحركة والتأهب ، وذلك لان أحد هواة الاذاعات اللاسلكية فى مدينة كنت التقط بجهازه اللاسلكى الخاص هذه العبارة « أنا لوفورد كوليت ، سجين فى سفينة مجهولة ... »

وانتهت العبارة عند هذا الحد .. وكان هاوى الاذاعة هو أول من أبلغ هذه العبارة الى اسكتلانديارد ، وبعده كان هناك غيره آلاف من هواة اللاسلكى الذين سمعوا العبارة ورآحوا يبلغونها بدورهم الى مراكز البوليس فى خلال الساعة التالية . وكانت التبليغات كلها لا تخرج عن نطاق هذه العبارة بدون زيادة أو نقصان . وقد التقطها أيضا اثنان من مهندسى اللاسلكى فى باخرتين بالشاطىء الشرقى ، وعابرة محيط كانت فى طريقها الى نيويورك . وهكذا أصبح اختفاء كوليت حديث الرأى العام فى طول البلاد وعرضها . وقد ذكر بعض الذين سمعوا العبارة لرجال الصحف انهم سمعوا أيضا بوضوح صوت شخص آخر يقول : « امسكوا به »

وقال المفتش ديكر لجيمى :

ـ فى سفينة ؟! عجيب أن يتخذ كوبى احدى السفن مركزا لادارة أعماله الاجرامية هذا اذا كان كوبى . ولكن من أين ندرى أنه صوت كوليت حقا ؟!

ـ ان فى لسان كوليت لثغة خفيفة . وقد سمعها الكثيرون من أصحاب أجهزة الاستقبال اللاسلكية . ولهذا أرى أنه ليس هناك أدنى شك فى أن كوليت هو الذى أرسل هذه العبارة

ورغم النداء اللاسلكى الذى وجه الى الجميع ليلتقطوا المزيد من عبارات كوليت ، فان أحدا لم يسمع بعد ذلك شيئا ، لسبب بسيط ، وهو أن كوليت كان ـ حينئذ ـ يجلس فى قمرة صغيرة مظلمة بالسفينة ، مقيد اليدين والساقين بالسلاسل المشدودة الى الجدران

ولكن كان هناك جاسوس من نوع آخر ، يسترق السمع عن طريق توصيلة سرية للتليفون ، انه يجلس فى غرفة بسطح أحد المنازل فى شارع ستانلى ، وكان يجلس أمامه رجل أكبر منه حجما . أما الجاسوس فكان يضع على أذنيه سماعتين متصلتين بلوحة اتصال تليفونى سبق اعدادها وتثبيتها فى ركن من الغرفة وراء ظهره . أما الرجل الآخر ، والكبير الحجم ، فكان فى منتصف العمر ، دميم الوجه . غير معنى باستكمال أسباب الوجاهة ، مما زاد وجهه دمامة ونكرا

وقال الرجل ذو السماعات وهو ينظر فى ساعة يده :

ـ يبدو أنها غير موجودة بالمنزل ، فانها لم تتصل تليفونيا بأحد

طوال فترة ما بعد الظهر ، أو لعلها اكتشفت أمر هذه التوصيلة

ـ وكيف يمكن أن تكتشفها ؟

ـ أيا كان الامر فانني لم أعد أطيق القيام بهذا العل الممل ثماني ساعات في انتظار متواصل . ان هذا لا يطاق

ـ اذا أردت أن تشكو ، فتقدم بشكواك لباركر . ثم لا تنس ...

وتوقف فجأة حين أشار له صـــاحبه ذو السماعات وهو يرهف السمع ، ثم وهو يقول هامسا بعد أن وضع يده على المسماع القريب من فمه :

ـ انها تتحدث

وكتم الرجل الضخم أنفاســـه وراح ينظر الى الكلمات التي كان يسطرها زميله ذو السماعات بسرعة ، محاولا قراءتها . وبعد خمس دقائق ، رفع السماعات عن أذنيه وقال وهو يتنهد

ـ ان المتحدث معها كان المفتش جيمي سيبنج ، كان يقول لها انه تلقى أنباء عن كوليت ، رسالة لاسلكية مبتورة ، ثم تبادلاتحية المساء

وتراخى الرجل الضخم في مقعده وهو يقول في غمغمة :

ـ لسوف أبتهج عندما ننتهي من هذه العملية ، ان الحياة في هذا الجحر المغلق المعلق في السماء مرهقة

ـ لو أنك يا ديجر نجحت في قتل المفتش سيبنج لما عهد باركر بهذه المهمة الينا . ماذا قال لك عن فشلك في اغتيال سيبنج ؟

ـ انني لم أقابل باركر ، واني سعيد لاني لم أقتل سيبنج ، فلو اني نجحت لقامت على قيامة البوليس في كل أنحاء البلاد . ولكني أعترف أن تنظيم باركر لعصابته يدل على ذكائه الحاد . لقد ظننت اني لن أستطيع الهرب بعد اطلاقي لتلك الرصاصة ولكني وجدت نفسي ـ لدهشتي ـ في سيارة تنطلق كأنما إنشقت عنها الارض

وتنهد ذو السماعات ، ثم أعاد وضعها على أذنيه وراح ينصت ، وفجأة ارتسم الاهتمام على وجهه وهو يرهف السمع ، وبعد أن ظل يكتب نحو ربع ساعة ، رفع عن أذنيه السماعات ثم قال لصاحبـــه ديجر :

ـ انها جوان ، كانت تتحدث الى شخص ما فى إسكتلانديارد وتخبره أن هناك من يستمع سرا الى أحاديثها التليفونية ، فقال لها انه يعرف !

ولم يسمع كل منهما وقع الخطوات المتسللة على السلم ، لان الصاعد كان يغلف حذاءه بكساء من المطاط ، وهكذا فوجئا بدوى الباب وهو يفتح عليهما عنوة ، ثم اذا برجل يقف أمامهما والمسدس فى يده مصوب الى صدريهما

وقال لهما بلهجة آمرة :

ـ حذار أن يتحرك أحدكما من مكانه ، لاسيما أنت يا ديجر . اذا حاولت أن تهبط بيديك ، فسوف أقتلك فورا

وكان المتحدث هو جيمى سيبنج !



وفى أثناء اقتياد المجرمين الى أقرب مركز للبوليس ، تنازل جيمى وشرح لهما الامر قائلا :

ـ كنا نرقب هذا المنزل يا ديجر منذ يومين، وعندما فتحت النافذة صباح أمس تعرف المراقب عليك وهو ينظر اليك بمنظار مقرب على بعد ألفى متر ، وقد كان فى مقدوره أن يطلق الرصاص عليك من بندقية بعيدة المدى ، ولكننا نريدك حيا

ـ انك لا تستطيع أن تثبت هذه التهمة على ، ان زميلى كالى هذا صديق لى ، وقد جئت لزيارته . هذا هو كل ما فى الامر ، ولكن كيف عرفتم بأمر التوصيلة السرية

ـ عن طريق جهاز خاص دقيق يمكنه تحديد مكان كل توصيلة سرية على بعد مائة ياردة ، وقد أجرينا اليوم محادثتين تليفونيتين للتأكد من مكان التوصيلة التى قمتم بها . ان عقوبة هذه الجريمة هى السجن عشر سنوات ، ولكن يمكننى التغاضى عنها اذا اعترفت ...

فقاطعه ديجر قائلا فى صوت كالزئير :

ـ اننى لن أعترف بشىء ولو كانت العقوبة خمسين سنة

وفيما كان باب الزنزانة يغلق على ديجر ، قال له جيمى :

ـ سأعود اليك فى الصباح ، وأرجو أن تكون على استعداد للاعتراف

واعترف ديجر فى الصباح ، ولكن المعلومات التى أدلى بها كانت ضئيلة ، فقد قال :

ـ اننى لست عضوا فى عصابة كوبى ، لانى أحتقر هذا النوع من ابتزاز الاموال بالتهديد ، وكل ما أعرفه أن باركر أخبرني أنه يرسم خطة محكمة للظفر بمبلغ ضخم من المال ، وأنه يعمل ساقيا فى منزل أحد كبار موظفى وزارة المالية ، وأن كل ما يريده منى هو مراقبة بعض الاشخاص

ـ مثل من ؟

ـ أنت أحدهم ، وكذلك الفتاة التى اسمها جوان ، وقد بدأت مراقبتها منذ شهرين

ـ وهل كنت تراقب أخاها ركس والتون أيضا ؟

ـ لا ، لم يحدثنى باركر بشىء عن أخيها ، لقد حدث منذ أسبوعين أن طلب منى أن أقوم باغتيالك لانهم حاولوا رشوتك فلم يفلحوا ٠ لقد أصبحت فى نظرهم مصدر الخطر بعد أن انتقلت القضية من يدى ميللر ـ الذى كان متضامنا معهم ـ اليك ٠ نعم ، انهم فى فزع شديد منك ، وكذلك صدرت الاوامر الى والى صديق لى بقتل ركس والتون فورا اذا وقعت أنظارنا عليه ، وكانت مكافآتنا خمسمائة جنيه للمراقبة ٠ وخمسة آلاف جنيه عن قتل الفرد الواحد

ـ حسنا ، استمر

ـ وكانت ثمة سيارة تحت أمرنا للهرب بها فى الوقت المناسب ٠ ولكنى أقسم لك أنى لم أكن أنوى قتلك يا مستر سيبنج ، واذا كنت تشك فى صدق حديثى فيمكنك أن تجربنى فى اصابة الهدف ٠ اننى أستطيع أن أصيب أى هدف بنسبة ٩٥ ٪

ـ كأنك تعرف باركر ؟

ـ نعم ، رأيته ثلاث أو أربع مرات

ـ هل أخبرك أنه هو المنظم لهذه العملية ؟

ـ نعم ، فهمت منه أنه رئيس العصابة ، وعلى كل حال فانى لم أر أحدا غيره من أعضائها الكبار

ـ متى رأيته آخر مرة ؟

ـ أمس ، رأيته مساء أمس فى شارع تيدال بازين،ولكنى لاأعرف أين يختفى عن أنظاركم،ولهذا لا تجهد نفسك معى لتعرف منى مخبأه . كل ما أعرفه أنه ينوى ارتكاب جرائم القتل بالجملة ، وأنه لا يشعر ـ مثلى ـ بالخوف من النتائج

ـ انك مخطىء فى هذا الظن يا ديجر ، ان التجاء باركر الى سفك الدماء دليل على مبلغ فزعه ورعبه من رجال البوليس

ـ حسنا ، انه لا يبدو لى كذلك ، وانما يبدو لى شاباثابت الاعصاب

ـ شابا ؟ ماذا تعنى يا ديجر بهذه الكلمة ؟ ان باركر يقترب من الستين

ـ الستين ؟ ما هذا الذى تقول يا مستر سيبنج ، ان باركر لايزيد عن الثلاثين عاما بيوم واحد ..!!

وانعقد لسان جيمى برهة من فرط الدهشة ، ثم راح يسائل نفسه : أيمكن أن يكون باركر شابا قد تنكر فى سمت رجل كهل :

ان جيمى يستعيد فى ذهنه ملامح الرجل كما عرفه فى منزل المستر كولمان ، واطمأن أخيرا الى أنه لا يمكن أن يكون الرجل متنكرا . وعدا هذا فان صحيفة سوابقه تدل بصفة قاطعة على أنه فى سن الكهولة ، ومن ثم قال بلهجة تأكيد :

ـ ان باركر فى نحو الستين من عمره،ولا يمكن أن يكون الشخص الذى رأيته هو باركر نفسه . كيف تعرفت به أول مرة ؟

ـ عن طريق بعض الزملاء . وأنا شخصيا لاأعرف المجرمين فى هذه المدينة لأنى غريب عنها ، وقد أخبرنى أحدهم أن رجلا يريدنى للقيام بمهمة معينة ، ولما التقيت بهذا الرجل ذات مساء وجدته أبعد مايكون عن الكهولة . كما أن صوته كان ينم عن التثقف والتهذيب ، ولم يذكر لى أنه يشتغل فى منزل المستر كولمان ، وانما علمت فقط بعد اختفاء باركر . ولكنى واثق تماما بأنه قدم نفسه الى باسم باركر

وغير جيمى موضوع الحديث فقال :

ـ ومن هو زميلك الذى كان يعمل معـك على اسـتراق السمع بالتوصيلة التليفونية ؟

ـ انه زميل كان موظفا بمصلحة التليفونات ثم طرد لسوء سلوكه، وهو لا يعدو أن يكون مجرما تافها ، ولكنى عرفت كيف أستفيد من خبرته

فقال جيمى متهكما :

ـ شكرا يا ديجر ، انى اهنئك !



الفصل الثاني عشر

خيط من الدماء

أحس جيمي وهو فى طريق العودة الى مسكنه أنه ـ بعد اعترافات ديجر ـ أصبح أبعد ما يكون عن كشف غوامض هذه الاحداث المتوالية . ان النقاب المسدل على شخصية كوبى قد ازداد كثافة وكأنما أضيفت اليه ستارة سوداء . ولكن من هو هذا الشاب ابن الثلاثين الذى قال ديجر عنه أن له صوتا مهذبا ؟ لعله ركس ؟ لا .. هذا غير معقول أو محتمل ، فقد رصدت العصابة لديجر وزميله مكافأة ضخمة ان هو قتله عند رؤيته ، هل هو تود هايدن ؟

هذا معقول ومحتمل ، ولكن أحداً لا يعرف من هو تود هايدن على وجه التحديد

ان ادارة اسكتلانديارد لا تملك صورة له ، او صحيفة سوابق ، أو بصمات أصابع ، أو أى شىء يدل على شخصيته

ثم مامعنى هذه المفارقة العجيبة التى بدت فى تصرفات باركر ؟

لقد ذكرت له دورا ، ولاحظ هو أيضا ـ أن باركر كان يرتعد عندما سطا أحد اللصوص على منزل المستر كولمان ، ولكنه ، فى الوقت نفسه ، كان قوى الاعصاب بحيث استطاع أن يضع المخدر فى قهوته ـ قهوة جيمى ـ ثم حمله والذهاب به الى وكر قمار كايزى

فكيف يمكن التوفيق بين هذين الجانبين من طبيعة الرجل ؟

وأرسل جيمى يستدعى المستر كولمان اليه ليعيد سؤاله عن باركر ، فلما جاء الرجل ، قال مستنكرا انه لا يقبل أبدا ـ وهو أحد كبار

الموظفين ـ أن يستدعى للسؤال هكذا كأى متهم ، ولكن جيمى استطاع أن يهدىء من ثورته ثم ساله قائلا :

ـ هل أنت واثق يا مستر كولمان أن باركر كان رجلا فى نحو الستين من عمره حقا أم كان شابا متنكرا فى هيئة رجل عجوز ؟

فقطب المستر كولمان ما بين حاجبيه وقال :

ـ ماذا تعنى يا مستر سيبنج ؟ اننى لست بالرجل الذى يخدع بسهولة ، ولهذا فانه من المستحيل أن يعيش باركر فى بيتى نحو عامين وهو شاب متنكر فى هيئة رجل عجوز دون أن أفطن اليه . ان كل ما أذكره انه كان ساقيا ممتازا ، وخادما مطيعا ، وما كنت لأتصور يوما أنه مجرم عريق . ان هذه الاحداث كلها قد أثرت على أعصاب ابنتى ، ومما زاد موقفنا حرجا أننا لم نعثر بعد على سائق سيارة ممتازة ليحل محل بنيت الذى أثبت جدارته فى عمله الجديد

ثم نظر فى ساعة يده وأردف قائلا وهو ينهض للانصراف :

ـ يجب أن انصرف الآن يا عزيزى سيبنج ، وانى ادعوك لتناول العشاء معنا الليلة حتى نواصل الحديث فى هذا الامر .. وبهذه المناسبة لن أستطيع أن يكون لى شرف استضافتك فى المنزل لان دورا غائبة عنه وليس لدى ما يكفينى من الخدم ، فهل يمكن أن تتعشى معى فى الاسبلندد ؟ . ان هناك بعض الاشياء التى علمتها عن باركر أثناء خدمته لى ، ولكنى لم أعرفها الا أخيرا ، ولم اذكرها لك بعد

ـ حسنا ، لسوف التقى بك فى الاسبلندد يا مستر كولمان . فى اى وقت ؟

ـ فى السابعة والنصف مساء ، والآن يجب أن انصرف بسرعة

وعقد جيمى مؤتمرا بعد ظهر ذلك اليوم مع زميليه ديكر والمفتش ليفى ـ الذى حل محل ميللر ـ وقد عرض عليهما ما لديه من معلومات ، وتلقى منهما ما لديهما من أنباء ، وقد عرف منهما أن البحث الدقيق بين أوراق المحامى لوفورد كوليت فى مكتبه لم يسفر عن شىء ، وعندئذ قال المفتش ليفى :

ـ ماذا كان شعور المستر كولمان عند اختفاء مستشاره القانونى وابن أخيه كوليت ؟ !

فقال جيمى فى صوت ينم عن الضيق :

ـ ان كولمان شيطان آدمى لا يهمه فى الدنيا شىء غير سـمعته ووظيفته وشئونه الخاصة

ولما غادر غرفة الاجتماع الى مكتبه الخاص ، وجد فى انتظـاره برقية من دورا مرسلة من مدينة ملولو ، وهى كما يلى :

« ارجوك أن تخبرنى بكل ما يجد من انباء . انى مقيمة فى المنزل المسمى ريفر سايد »

وفيما هو يلقى بالبرقية فى سلة المهملات ، اذا بجرس التليفون يدق بقوة ، واذا المتحدث نيبى كاولز الذى قال :

ـ أهذا انت يا مستر سيبنج ؟ انى أتحـدث اليك من شارع تيدال بازين

ـ ماذا يا كاولز ؟ !

ـ لقد رأيت اليوم .. جوليا !

ـ حسـنا

ـ انها تقيم فى شارع كارشولت مع تود هايدن

ـ تود هايدن ؟ هل أنت واثق من هذا ؟

ـ جدا . رأيتهما معا ، ويبدو انها تزوجته . وانا اتمنى لهـا كل سعادة . لقد رأيتهما ينصرفان من أحدى دور السينما منذ خمس دقائق ، وقد تبعتهما مسافة فى الطريق ، ويبدو انهما يعانيان من أزمة مالية حادة

ـ تعال فورا يا كاولز ، استقل سيارة أجرة

ـ سوف آتى حالا ، ولكنى سآمر اولا على مسكنى

واعاد جيمى السماع الى موضعه ، وتراخى فى مقعده وهو يفكر فى ان جوليا لا أهمية لها ، ولكن الاهمية تكاد تنحصر فى الوقت الحاضر فى هذه الشخصية الغامضة تود هايدن الذى قد يكون هو الرئيس الفعلى لعصابة كوبى

ومرت ساعة ، ثم نصف سـاعة دون أن يحضر كاولز الذى كان

قد ترك عمله — فى ذلك الصباح — كممرض للخادم البرت

ولما لم يحضر فى الساعة السادسة والنصف ، اتصل جيمى بأقرب مركز بوليس لمسكن كاولز وطلب من ضابط المباحث أن يسرع الى حيث يقيم كاولز ويسأل عنه

وبعد ربع ساعة علم أن نيبى كاولز قد وصل الى مسكنه بعد المحادثة التليفونية بنصف ساعة ، وأن شخصا التقى به وهو يغادر المسكن ، وان الاثنين انصرفا معا . وبعد برهة تذكر جيمى موعده مع المستر كولمان فى الاسبلندد ، فأسرع اليه حيث رآه جالسا بمفرده على احدى الارائك الوثيرة فى بهو الفندق يقرأ صفحة المال والاقتصاد فى احدى الصحف المسائية

ودار الحديث فترة أثناء تناول الطعام حول الشئون الاقتصادية ثم لم يلبث أن تحول الى موضوع باركر ، فقال المستر كولمان :

— اعترف بنيت أخيرا أن باركر لم يكن بالخادم النموذجى ، وانه كان ينتهز فرصة غيابى مع دورا عن المنزل ويستضيف بعض أصدقائه ، وقد استضاف ثلاث مرات رجلا يدعى تودهايدن

— تود هايدن بمفرده ؟

— لا ، كان تود هايدن يأتى مع فتاة فى ميعة الشباب يقول انها زوجته وان كنت لا أجزم بهذا . ويقول بنيت ان الفتاة جميلة جدا ، فتصور يا عزيزى جيمى كيف كان يستغل هذا الرجل عطفى عليه وثقتى به . وبطبيعة الحال وجهت أشد اللوم الى بنيت لأنه لم يخبرنى بهذا فى الوقت ...

— ألم يخبرك بالغرض من هذه الزيارات ؟

— يقول بنيت انهم كانوا يقومون بأعمال كتابية كثيرة على مكتب دورا وانه شاهد ذلك اللعين باركر ذات يوم وهو يحرق فى المطبخ قطعة من الورق النشاف،وقد قرأ فيها — وهى تحترق — اسم والتون بوضوح . ثم الا تذكر أن ركس والتون ترك فى حقيبة ملابس دورا — قبل أن يختفى — سوارا ثمينا من الماس !

— بلى .. أذكر

— كان السوار حتى أمس موضوعا فى علبة الحلى بغرفة دورا ،

ورغم رجائها لى ألا أخبرك بهذا ، فانى أرى أن الواجب يقتضى اخبارك وكل ما أرجوه ان تعالج هذا الموضـــــوع بشىء من الحيطة حتى لا يتسرب النبأ الى الصحف

ـ ولكن . ماذا حدث للسوار الماسى ؟

ـ اختفى أمس ، فقد فتحت دورا خزانتها الصغيرة لتـــأخذ خاتما أو شيئا من هذا القبيل ، فوجدت السوار قد فقد

ـ هل كانت الخزانة مفتوحة عنوة ؟

ـ لا ، فتحت ـ كما يبدو ـ بمفتاح

ـ ومن كان بالمنزل أمس ؟

ـ الطاهية وثلاث خادمات ، وكانت دورا خارج البيت معظم اليوم ، وكذلك بنيت أيضا الذى يقود السيارة مع قيامه بالعمـل كساق . وانا لا اشك فى بنيت ، لانه دمث الاخلاق ، ويدخر بضع مئات من الجنيهات فى صندوق التوفير بالبريد

ـ أعتقد انه لا داعى لسؤالك عما اذا كان السـارق قد ترك بصمات أصابعه على باب الخزانة ؟

ـ ولماذا لا تسأل ؟ اننى كنت اتوقع هذا الســؤال ، ولذلك استعنت بالعدسة المكبرة على فحص جوانب الخزانة فحصا دقيقا ، ومع ذلك فلم أجد أى اثر لبصمات أصبع

ـ هل سرق شىء آخر مع السوار ؟

ـ لا ، السوار فقط

ـ أعتقد أنه ينبغى أن أفحص هذه الخزانة يا مستر كولمان

ـ حسنا ، كما تريد

وبعد أن اتصل جيمى تليفونيا باسكتلنديارد ليسأل عن نيبى كاولز ، صحب المستر كولمان الى منزله ، (منزل كولمان) ، فبلغاه فى التاسعة الا ربع تقريبا ، وهناك قال صاحب البيت للضيف :

ـ يؤسفنى انى لن اســتطيع أن أقدم اليك فنجان قهوة لان الخادمات لا يقضين الليل هنا

ـ اذن فسوف تبيت الليلة هنا بمفردك

— نعم ، ولكنى لا اشعر بالخوف

وصعدا معا الى غرفة دورا حيث أضاء المستر كولمان المصباح الكهربائى ودخل وجيمى يتبعه الى غرفة واسعة جميلة الاثاث .
وكانت الخزانة بها أقرب ما تكون الى قطعة أثاث فاخرة تزين غرفة فتاة فى مركز دورا

وقال المستر كولمان وهو يخرج المفتاح من جيبه ويسلمه لجيمى :

— هذا هو المفتاح ، أخذته من دورا قبل أن تمضى

ولما فتح جيمى الخزانة وجدها خالية تماما ، وقال كولمان انه اخلاها وأرسل كل ما كان فيها من حلى الى البنك

— هل دورا واثقة بأن مفتاح هذه الخزانة كان معها دائما ؟

— نعم ، انها متأكدة تماما من هذا

وجال جيمى بنظراته فى أنحاء الغرفة ، ورأى الستائر المخملية المسدلة على النوافذ ، والطنافس التى تغوص فيها الاقدام ، والفراش الوثير الانيق ، والمكتب الصغير ذا المصباح الكهربائى الظليل ، والمقعد الوثير ، والمدفأة الفاخرة . وفجأة أشار الى باب أنيق وقال :

— الى اين يفضى هذا الباب ؟

— انه ليس باب غرفة ، وانما باب خزانة ملابس كبيرة

وسار جيمى بضع خطوات نحو الباب ، ثم توقف فجأة وراح يحدق فى أرضية الغرفة وهو يتمتم فى شبه ذهول :

ما هذا ؟

وكان ثمة قطرات من الدماء تنساب من أسفل باب الخزانة ، وتجرى فى خيط دموى متعرج على الارضية اللامعة

وكان المفتاح فى القفل ، فأداره جيمى ، وما أن فتح الباب حتى سقطت على الارض . جثة قتيل

ونظر جيمى الى الجثة فى دهشة بالغة وهو لا يكاد يصدق عينيه ، فقد كان القتيل هو . . . باركر !

الفصل الثالث عشر

اختفاء .. وظهور

طلب جيمى من المستر كولمان أن يبلغ حادث مقتل باركر تليفونيا الى اسكتلانديارد ثم راح يلقى نظرات سريعة فاحصة على الجثة ، ويفتش جيوب القتيل ، فأدرك من النظرة الاولى أن الرجل قتل برصاصة أطلقت عليه من مسافة قريبة ، ورأى فى معصم اليد اليسرى ساعة يد قديمة مكسورة الزجاج ، ومتوقفة عند الساعة الثامنة الا عشر دقائق

وبدا لجيمى أن الجثة ــ بعد الوفاة ــ حملت الى الخزانة لاخفائها أو يحتمل أن باركر قتل وهو واقف داخل الخزانة

ولما فحص الخزانة من الداخل ، رجح لديه الاحتمال الثانى ، لانه وجد الرصاصة القاتلة قد نفذت من الجثة واستقرت فى خشب الخزانة . أما محتويات الجيوب فقد وجد بينها ساعة جيب جعلته يتساءل عن سبب حمل الرجل لساعتين كما وجد بضع أوراق مالية وقطعتين من النقود الفضية . وفى جيب المعطف الداخلى ، عثر على علبة مربعة مكسوة بالجلد بداخلها السوار الماسى الذى تركه ركس والتون لدورا فى صباح يوم اختفائه

ووضع جيمى السوار على السرير واستأنف التفتيش حتى عثر على رسالة مطوية داخل مظروف مفتوح فى جيب معطف القتيل ، وكانت الكلمات الواردة بها مكتوبة بهذا الخط المعروف تماما لجيمى .. خط كوبى ، الذى يبدو ــ ولا ريب ــ انه أيضا خط باركر

وكانت الرسالة موجهة الى « عزيزى تود » ولكنها لم تكن كاملة ، وانما توقفت فى منتصف عبارة قبل نهاية الورقة بثلاثة اسطر .

وبعد أن وضع جيمى الرسالة والمظروف فى جيبه ، أقبل المستر كولمان يقول :

ـ ان رجال البوليس فى طريقهم الينا

ولاول مرة أعجب جيمى بالمستر كولمان لهدوئه وثبات أعصابه امام حادث رهيب كهذا ، وعاد الرجل يقول :

ـ يجب ان اخبر دورا لانها كانت تتحدث عن احتمال عودتها صباحا

ـ ولماذا لا تؤخر اخبارها الى الغد ؟

ـ لا ، ان دورا من الذين يستيقظون مبكرين ، وأنا لا أريد أن تعرف بأمر هذا الحادث من الصحف

ثم أردف قائلا فى دهشة :

ـ ماذا كان يفعل هذا هنا ؟ وأين وجدت هذا السوار ؟ !

ـ فى جيبه الداخلى ، انه سوار دورا ، أليس كذلك ؟

ـ نعم ، بالتأكيد وهذا الرجل هو باركر طبعا

ـ انه باركر ، أو الرجل الذى قتل باركر . ان الاحداث تتوالى بسرعة

وأقبل المفتش ديكر والطبيب الشرعى الذى قال بمجرد أن فحص الجثة :

ـ انه ميت ، مقتول برصاصة

وانحنى ديكر على القتيل وقال :

ـ هل وجدته هنا يا جيمي ؟

ـ نعم . فى خزانة الثياب هذه . وقع بمجرد أن فتحت بابها

وقال الطبيب الشرعى :

ـ حدثت الوفاة منذ ثلاث ساعات تقريبا . هل تريد نقله الى المشرحة ؟ حسنا ، لسوف استدعى سيارتها تليفونيا حالا

وهبط الطبيب مع المستر كولمان الى التليفون بالطابق الاول

تاركين المفتشين على انفراد ، وعندئذ قال ديكر لجيمى :

ـــ ماهو الرأى الذى كونته عن الحادث يا جيمى ؟

ـــ لم أكون رأيا بعد . لقد قتل من مسافة قريبة جدا ، وفى نحو الساعة الثامنة الا عشر دقائق كما تثبت الساعة الموضوعة فى يده . ويبدو لى انه التحم مع القاتل فى معركة يدوية ، ثم ضرب على رأسه، وحمل الى الخزانة حيث قتل فيها

وبعد أن حدث ديكر فى ايجاز بمعلوماته عن الحادث ، جال بعينيه فى أنحاء الغرفة وهو يقول :

ـــ لايوجد بها أى أثر لرائحة البارود المتخلف عن الطلق النارى .. هذا مع العلم بأن النوافذ مغلقة ، فهل فتح القاتل الابواب والنوافذ للتهوية ، ثم اغلقها ؟ ان دورا لم تنم هنا الليلة ، فلماذا رفعت الستائر ؟

وقال ديكر :

ـــ ان الخزانة مفتوحة ، فلماذا ؟

فلما أخبره جيمى عن سرقة السوار الماسى ، قال ديكر فى تفكير :

ـــ سرق السوار امس ووجد اليوم فى جيب معطف الرجل الذى قتل هنا الليلة ، وليس من المحتمل أن يظل باركر ـــ أوفيلمان على الاصح ، محتفظا بالسوار معه طوال اليوم ، كما أنه ليس من المحتمل اطلاقا أن يسرقه أمس ليعود به الى هذه الغرفة اليوم . ومعنى هذا أن باركر كان مختبئا منذ أمس فى هذا البيت دون أن يشعر كولمان

ولكن البحث الدقيق فى جميع أنحاء البيت ، ولاسيما فى غرفة باركر التى احتلها بنيت ، لم يسفر عن أى دليل ينم عن اختبائه طوال يوم كامل . ولكن هذا البحث الدقيق كشف عن مكان صغير سرى فى مخزن الخمور الواقع بالطابق الاول ، ذلك أن جيمى رأى ـــ وهو يزيح صندوقا لنقل المتاع ـــ حجرا يتكون منه باب سرى ذو حلقة حديدية قال عنه جيمى بعد أن فحصها :

ـــ يبدو أن هذا الباب استعمل حديثا

ولما جذب الحلقة ، فتح الباب الحجرى السرى بسهولة ، وبدت فيه درجات حديدية تؤدى الى قبو مظلم . وهبط جيمى وديكر

الى القبو فاذا هو غرفة صغيرة جداً ليس بها نافذة أو باب آخر وحول جدرانها أرفف حديدية عليها زجاجات خمر بعضها فارغ وبعضها ممتلىء . وفى جانب منها شاهد جيمى صندوقين كبيرين يحملان اسم تاجر خمر مشهور فى القرن الماضى ، فلما فتحهما ، قال للمستر كولمان الذى هبط الى القبو :

ـ هذه غنيمة ثمينة لك يا مستر كولمان ، يبدو ان مالك البيت الاول قد نسى هذين الصندوقين هنا ، واذا صح التاريخ المكتوب على الزجاجات ، فانها ترجع الى عام ١٨٥٨ . ان لديك الآن دستة زجاجات خمر معتقه لاتقدر بثمن

فقال المستر كولمان :

ـ اننى لم اكن أعلم بوجود هذا القبو فى المنزل ، ولم يسبق لى بطبيعة الحال أن استعملته ، وانا لا أفكر فى شرب خمر شخص آخر. يجب ان أعيدها الى صاحبها

وبعد ان فحص جيمى جوانب القبو السرى ، غادره مع كولمان وديكر الذى قال :

ـ ان هذا القبو خال من وسائل التهوية تماما ، ولا أظن ان فى مقدور اى انسان أن يبقى فيه أربعا وعشرين ساعة دون أن يصاب بالاختناق

وفيما كان المفتشان يغادران المنزل بعد ان أعياهما البحث عن المكان الذى اختبأ فيه باركر يوما كاملا ، تذكر جيمى انه لم يخبر دورا بالحادث ، فاتصل بها تليفونيا حيث تقيم فى مصيف مارلو ، ثم حدثها ، بعد ان ايقظتها الخادم ، بالمأساة التى وقعت فى غرفة نومها ، فشهقت قائلة :

ـ لسوف آتى حالا

ـ لا ، لا ، هذا اخر مايجب ان تفعلى ، وانما يجب ان تظلى بعيدا عن لندن حتى يستلزم الامر حضورك

وانهى جيمى المحادثة بسرعة حين أدرك من رنين صوت الفتاة اثر الحادث على اعصابها

وبعد ان سلم المنزل لرجال البوليس ، وبعد ان علم من المستر

كولمان انه سيقيم فى فندق قريب من المنزل ، عاد الى مكتبه بادارة اسكتلانديارد ، وتناول من جيبه المظروف والرسالة اللتين وجدهما فى جيب معطف القتيل ، وراح يقرأ مايلى :

« عزيزى تود . ان هناك أشياء كثيرة فى هذه المسألة لا افهمها ، ولهذا اوشك أن انفض يدى منها ، وان المال الذى اعطيتنى اياه لكى اسافر الى خارج البلاد لا يكفى ، لسوف أحاول أن أراك الليلة فى مكاننا القديم ، فاذا لم أجدك ، فسأترك هذه الرسالة لك . انعملية « كوبى » قد فشلت ، ولست أظن أنك ستظفر بالغنيمة اياها . وقد كان يجب أن أنال مبلغا أكبر عن الرسائل . فقد اضطررت منأجلها الى ضرب رجل على راسه بقوة ، وقد أحاط بنا الخطر لان المفتش عاد الى مسكنه بمجرد خروجنا منه ، فلو أننا تأخرنا دقيقة واحدة لاصبحنا اليوم فى خبر كان . ولسوف أقوم ... »

وانتهت الرسالة عند هــذا الحد ، ولكن المفتش ديكر استكملها تخمينا فقال :

ـــ لسوف أقوم بمحاولة أخــرى لرؤيتك ، فاذا لم اســتطع ، فسأرسلها اليك بالبريد

ـــ ولكنه رآه فعلا ، ثم دفع ثمن حياته ثمنا

ـــ وماذا حدث فى رأيك ؟

ـــ التفسير المعقــول هو ان باركر قابل تود الذى أغراه بسرقة السوار الماسى ، والواضح أن باركر كان آلة فى يد تود ، وهذا ماخطر ببالى دائما

ـــ هل تعنى أن الاثنين دخلا منزل المستر كولمان ، ثم حــدثت بينهما مشادة انتهت بقتل باركر ؟

ـــ هذا هو التفسير البسيط ، ولكن المؤكد ان باركر كان فى حاجة الى مال ، ولعله أراد أن يحتفظ بالسوار لنفسه ، حسنا . لشد ما أود الآن أن ألتقى بنيبى كاولز ، فهو الوحيد الذى يعرف الكثير عن تود هايدن . وأيا كان الامر ، فقد أصبح لدينا الآن من الادلة مايكفى لادانتــه .. وكل ماعلينا الآن هــو أن نفتش بدقة شــارع كارشولت بحى تيدال بازين

وظل يعد حملة التفتيش حتى تبلج الفجر ، وفى الصباح ، مضى أولا الى مسكن نيبى كاولز فى حى لامبث ، وهناك فاجأته مديرة المسكن بأنباء مذهلة حين قالت له :

ــ لا ياسيدى ، ان المستر كاولز لم يبت الليلة فى البيت ، ولهذا أشعر بالقلق الشديد عليه لانه لم يتعود المبيت فى الخارج ، بل لم يتأخر عن الحضور أكثر من العاشرة مساء منذ أن عملت معه

ــ هل رأيت الرجل الذى قلت انه جاء لزيارته امس ؟

ــ لا ، لم اره ، ولكنى اعرف انه من السادة المهذبين ، فصوته كان يدل على هذا . وكذلك أعرف اسمه

ــ أتعرفين اسمه ؟ ماهو ؟

ــ كان المستر كاولز قد عاد الى البيت وأمضى نحو عشر دقائق ثم تأهب للخروج مرة أخرى ، وفيما هو يهبط السلم ، سمع طرقا على الباب ، ففتحه ، وسمعته ــ وأنا واقفة على راس السلم ــ يقول للطارق : « اى خدمة استطيع ان اقدمها اليك ياسيدى » فقال الرجل الغريب : « هل عرفتنى يامستر كاولز ؟ » وبدا لى ان المستر كاولز فوجىء بمعرفة الرجل ، لانه هتف قائلا : « اهذا انت يا مستر والتون »

وصاح جيمى فى دهشة بالغة ؟

ــ والتون ؟ ! هل انته واثقة من هذا الاسم ؟

ــ كل الثقة وانى على استعداد لان اقسم بكل كتاب مقدس على صدق ما اقول



وأدرك جيمى أن الموقف كله قد ازداد غموضا وتعقيدا ، فماذا كان ركس والتون يريد من نيبى كاولز ؟ ان جيمى يذكر أن كاولز قال له ذات مرة انه يدين بالجميل لركس والتون الذى طالما عطف عليه قبل أن يضل الطريق ، ولكن أية خدمة يمكن ان يقدمها نيبى لرجل يمتلك مليونا من الجنيهات ؟ !

وأخيرا وصل الى حى نيدال بازين حيث بذل مع أعوانه مجهودا كبيرا فى البحث والتحرى عن تود هايدن وجوليا التى قال نيبى كاولز

انها تزوجته ، وقد أجمعت أقوال سكان شارع كارشولت ــ وكلهم فقراء ــ على أن المنزل رقم ٤٤ هو المنزل الوحيد في الحى كله الذى كان يقيم فيه شاب وفتاة جميلة ، وان اسميهما مستر ومسز مارش

وفى الطابق الارضى من هذا المنزل ، التقى جيمى بغلام كسيح قال انه الساكن الوحيد بالطابق ، لان امه تقضى عشرين يوما فى السجن عقابا لها على السكر والعربدة . وسأله جيمى قائلا :

ــ من الذى يقيم فى الطابق الاعلى ؟

ــ مستر ومسز مارش ، ولكنهما غير موجودين ، بل انهما لا يأتيان الا قليلا جدا



وصعد جيمى مع ضابط بوليس من أعوانه الى الطابق الاعلى فاذا هو مكون من غرفتين ومرافقهما ، وكانت الغرفة الاولى ، الامامية ، خالية تماما من كل شىء ، أما الثانية الخلفية ، فكانت مفروشة بمتاع أنيق لا يتناسب مع بيئة المنزل . ولم يعثر جيمى فى هذه الغرفة على اية أدوات للكتابة أو أى دليل ينم عن تود هايدن ، وانما وجد مجموعات كبيرة من الكتب والمجلدات واعدادا من دائرة المعارف وخريطة جغرافية لانجلترا عليها دوائر حمراء . ولما ارتسمت الدهشة على وجه جيمى وهو ينظر الى هذه الدوائر قال ضابط البوليس له :

ــ ان هذه العلامات تحدد الدوائر القضائية لكل اقليم ، فاذا وقعت جريمة داخل هذه الدائرة فان المجرم يحاكم فى دائرة اكسفورد القضائية ، واذا وقعت فى هذه الدائرة الثانية ، فانه يحاكم فى دائرة جلوستر ، وهكذا ..

ولما لم يجد جيمى فى الغرفة أى أثر للملابس أو الادوات النسائية عاد الى الغلام الكسيح وحاول أن يعرف منه المزيد عن المستر والمسز مارش ، ولكن الغلام لم يذكر الا انه رآهما مرات قليلة ، وأنهما كانا فى كل مرة يحضران لمدة ساعة واحدة ثم ينصرفان

وعاد جيمى مرهقا الى سكنه حيث اختطف ساعات قليلة من النوم ، ثم انطلق مسرعا الى مكتبه باسكتلانديارد ، وهناك علم أن جميع الجهود التى بذلت للبحث عن نيبى كاولز قد ضاعت سدى ،

وعندئذ قال له زميله المفتش ديكر :

ـ يبدو أن الحالة تستلزم اشتراكى معك فى معالجة أمر هذا المجرم الخطير كوبى أو تود هايدن ، ان الاحداث تتراكم ، وأخشى أن يفلت زمامها من أيدينا

وكانت الاحداث فى الواقع تتوالى بسرعة لا تخلو من طابع العنف ، حتى لقد كاد جيمى ينسى فى غمارها مهمته الاولى ، وهى البحث عن ركس والتون المختفى مع المليون من الجنيهات . وقد ذكرته جوان بهذه الحقيقة عندما التقت به فى مقهى كارلتون الانيق ، وذلك عندما قالت له فجأة :

ـ جيمى ، هل تستطيع أن تهيىء لى عملا ارتزق منه ؟

ـ ماذا تعنين بحق السماء ؟ !

ـ لم يبق معى الكثير من المال ، ونفقات البيت الكبير تزداد ،وليس لى أى حق فى بيعه أو تأجيره ، فاذا لم يظهر ركس بسرعة ، فسوف أحتاج الى عمل أرتزق منه . وان مايحيرنى هو كيف يتركنى ركس هكذا بغير مال ؟ ولكن ، اننى واثقة من أن ركس لا يريد بى سوءا

ـ لعله نسى أن يترك لك حاجتك من المال ، أو لعله فى ظروف لا تسمح له بارسال المال اليك

ـ ولهذا فأنا التمس له العذر ، ولست أدرى من الذى سيأتى عليه الدور ليختفى ، فقد اختفى حتى الآن ركس ، وخادمه الخاص ويلز ، ثم المحامى كوليت ، ثم كاولز ...

وعندئذ قال جيمى متفائلا :

ـ ترى من منهم سيظهر أولا ؟

وبعد بضع ساعات ، أجابت الاقدار على سؤاله ذاك

الفصل الرابع عشر

أول العائدين

علم جيمى أن دورا كولمان عادت الى لندن حين أرسلت اليه خطابا موجزا تسأله فيه أن يزورها فى بيت أبيها ، فلما ذهب الى البيت علم من بنيت ـ السائق والساقى (فى آن واحد) ـ ان المستر كولمان غائب فى الخارج ، ولما صعد الى غرفة دورا ، وجدها جالسة فى اعياء وقد امتقع وجهها وأطلت من عينيها الحمراوين سمات الخوف والقلق وقالت لجيمى بعد أن بادلته التحية :

ـ عاتبنى أبى بشدة لانى جئت • ولكنى لم أستطع أن أبقى بعيدا بعد الذى حدث . وبطبيعة الحال لن أبيت الليلة هنا

وارتعد جسمها قليلا وهى تستطرد قائلة :

ـ جيمى ، ماذا وجدت فى هذا الصباح ؟ ألم تجد شيئا ـ غير السوار الماسى ـ ينم عن القاتل ؟

ـ لا ، مطلقا

وأحس جيمى بالحرج فجأة حين ألقت دورا بذراعيها على كتفيه وقالت بصوت باك :

ـ أوه ، يا جيمى ، اننى خائفة • اننى لم أعد أطيق هذه الحالة أبدا • ليتنى أموت

فهدأ من روعها وقال :

ـ لسوف أتحدث مع أبيك ليسمح لك بالسفر فى رحلة الى الخارج ، فليس هناك ما يدعو الى بقائك فى الوقت الحاضر فى هذا الجو المزعج

ـ لا ، لا • لا أستطيع يا جيمى • لا تسألنى لماذا • آه • هذا هو أبى قد عاد

وأقبل المستر كولمان بوجه ينم عن الارهاق والخوف والقلق ، وبعد أن بادل جيمى التحية ، قال فى صوت متداع :

ـ لست أدرى ماذا أفعل الآن ، آن هذه الاحداث المتوالية أوشكت أن تحطم أعصابنا ، بل ان ثروتى القليلة تزداد ضآلة يوما بعد يوم

ـ أبى ، لا داعى لان تثقل على المستر سيبنج بمتاعبنا الخاصة

وسمع جيمى باب المنزل الخارجي يفتح ويغلق ، فتساءل فى نفسه عمن يكون القادم ، بينما كان المستر كولمان يقول :

ـ لو أن ركس والتون ...

وماتت الكلمات على شـــفتيه وهو ينظر ـ مع جيمى ودورا فى ذهول تام ـ الى الداخل عليهم

لقد كان المحامى المختفى لوفورد كوليت !



وقال جيمى بعد أن استرد القدرة على الحديث :

ـ أين كنت .. ومن أين جئت ؟

ـ أتمنى لو أستطيع أن أخبركم،ولكننى لا أدرى علىوجه التحديد. كل ما أعلمه اننى أخذت فى سيارة انطلقت بنا ثلاث ســاعات حتى وصلت الى يخت فاخر . آه ، أريد أن أتحدث معك برهة يا مســتر كولمان

فقال جيمى فى لهجة حازمة :

ـ ولكن ، من الذى أخذك ، أو اختطفك ؟ ومن الذى سجنك ؟ وما معنى الرسالة اللاسلكية التى أرسلتها على أمواج الاثير ؟

فأشعل كوليت لفافة التبغ وقال :

ـ الرسالة اللاسلكية ؟ آه .. انهم لم يسمحوا لى باستكمالها ، أما عمن اختطفنى أو سجننى ، فهذا ما لا أعرف عنه شيئا

ـ ألا يمكن أن تقدح زناد الفكر وتحاول أن تعرف من هم ؟

ـ ربما أستطيع بعد يوم أو اثنين . أما الآن ، فيجب أن أكون على حذر شديد ، ان أحدا لا يعرف انى عـدت ، ولست أريد أن ألتقى برجال الصحافة الملاعين

ـ أيا كان الامر ، فانه حتم عليك أن تقدم لرجال البوليس تفسيرا

لما حدث ، فان رسالتك اللاسلكية المبتورة جعلتنا نقيم الدنيا ولم تقعدها بعد في البحث عنك

ـ حسنا ، لسوف أقدم في الوقت المناسب تقريرا كاملا ، أما الآن، فلا أستطيع أن أزيد شيئا



ولكن المستر كوليت فوجيء ، عند عودته الى بيته ، بعدد كبير من رجال الصحافة « الملاعين » ـ كما وصفهم ـ والمصورين ، واقفين في انتظاره • ورغم عشرات الاسئلة التي انهالت عليه ، فانه لم يذكرلهم أكثر من أن أشخاصا مجهولين اختطفوه ، وحملوه في سيارة الى مقصورة في يخت حيث بقي سجينا طوال هذه المدة • ثم أردف قائلا لهم :

ـ وفي الوقت المناسب ، سأحدثكم بما جرى لي في ذلك اليخت

ثم أغلق الباب دونهم ، واندفع الى غرفته العليا ، ولكنه لم يأو الى فراشه ، كما زعم للمستر كولمان ، وانما راح يبحث بين أوراقه الخاصة فيجمع بعضها في حافظة أوراقه ، ويلقي بالباقي في نار المدفأة ، ثم جمع ملابسه وحاجياته الضرورية في حقائب السفر ، واتصل بشركة كوك للسياحة والسفر لكي تحجز له مكانا بالدرجة الاولى في أول باخرة مبحرة الى الخارج ، واندفع في الصباح الى بنك لندن وبرمنجهام حيث سحب من رصيده سبعة آلاف جنيه ، ولما عاد الى مسكنه وجد خادمه الخاص قد عاد أيضا وراح يرحب به ، ولكنه قاطعه قائلا :

ـ جهز طعام افطاري بسرعة ، فاني مسافر الى الخارج في قطار الساعة الحادية عشرة والنصف مساء ، وعليك أن ترسل كل بريدي الى فندق بوريس بباريس حيث سأبقى هناك لمدة أسبوعين

وغادر البيت الى حلاق في محطة فكتوريا ، فقص شعر رأسه كله ، وأزال شاربه ، وأتم تغيير منظره بنظارة سوداء على عينيه ، وبمعطف ثقيل أزرق كان يحمله على ذراعه ، وهكذا غادر المحل كأنه شخص آخر

وركب القطار أولا الى أسكس وهو يفرك يديه سرورا



وما كاد جيمي يصل الى بيته في الواحدة بعدمنتصف الليل مرهقا

متعبا حتى دق جرس التليفون ، واذا المتحدث أحد رجال البوليس فى اسكتلانديارد ، واذا هو يقول له :

ــ وردت الآن برقية من بوليس أسكس تقول ان جثة المحـــامى لوفورد كوليت وجدت فى مقصورة الدرجة الاولى بقطار الحادية عشرة والنصف

ــ مات ؟

ــ نعم ، أطلق عليه الرصاص من مسافة قريبة جدا ، وقد تعرفوا عليه من اسمه المكتوب داخل قبعته ، أما جيوبه فكانت خالية تماما!



وقال جيمى لزميله المفتش ديكر بعد أن فحص الجثـة والظروف المحيطة بها :

ــ أثبتت الادلة أن الرصاصة أطلقت عليه من خارج النـافذة ومن مسدس مزود بكاتم للصوت ، ثم دخـل القاتل الى المقصورة وأخفى الجثة تحت المقعد بعد أن أخذ من الملابس كل شىء ، ولم يترك وراءه أى بصمات لاصابعه ، ووضح من التحريات أن كوليت كان فى طريقه للهرب الى الخارج باسم مستعار ، وأنه سحب من رصيده فى البنك سبعة آلاف جنيه ، وأنه سلم لخادمه أجر ستة أشهر مقدما ، كما ترك له اثاث مسكنه كهدية خالصة

فقال ديكر بعد برهة من التفكير :

ــ الواضح أن قاتله هو قاتل باركر ، لان ظروف القتل تكاد تكون واحدة : مسدس بكاتم للصوت ، واخفاء الجثة فى خزانة أو تحت المقعد ، وعدم وجود بصمات أصابع ، والاصابة من مسافة قريبـــة جـدا ، والواضح أيضا أن كوليت ظل تحت المراقبة منذ أن غادر مسكنه فى هذا الصباح ، ومن المحتمل جدا أن يكون القاتل هو الذى كان يراقبه

ــ هل تعنى كوبى ؟

ــ انها عصابة كوبى على كل حال ، وأعتقد أن الدافع الى القتل فى الحالتين هو خوف العصابة من انهيار باركر أو كوليت ثم اعترافهما

ــ هذا ما خطر لى أيضا ، فان رسالة باركر وحالة كوليت كانتـا تنمان عن قرب انهيارهما ثم اعترافهما بكل شىء

ــ كأن هذا يعنى أن كوليت كان أحد أفراد عصابة كوبى ؟

ـ هذه حقيقة واضحة ، فقد ثبت أن كوليت كان محاميا فقيرا ، ومنذ أن بدأ كوبى أعماله الاجرامية اذا بالاموال تتدفق على كوليت ، لقد كان همزة الوصل بين كوبى وضحاياه ، ولكنه لم ينس أن يكون له عملاء محترمون مثل المستر كولمان ليبعد الشبهة عن نفسه ...

وذهب جيمى فى المساء لزيارة المستر كولمان فى فندق بورتلاند بالاس ، ، وسأله للمرة الثالثة فى ذلك اليوم :

ـ هل أنت واثق من ان كوليت لم يذكر لك شيئا عن محنة سجنه فى اليخت المجهول

ـ لا ، أبدا ، أبدا !

ـ هل تعرف له أعداء ؟

ـ لا أعرف ، فان معلوماتى عن حياته الخاصة ضئيلة ، وكل ما أعرفه أنه كان محاميا بارعا ، وكان مستشارا خاصا لكل شئونى

وتنهد الرجل فى بؤس وقال :

ـ مسكينة ابنتى دورا ، انها توشك أن تفقد عقلها ، انها لم تعد تأكل أو تشرب ، فقد كان كوليت عزيزا عليها ، انها ترفض أن ترى أحدا أو يزورها أحد

وفيما كان جيمى يغادر الفندق ، التقى بجوان مقبلة ، فقال لها :

ـ الى أين يا جوان ؟

ـ الى زيارة دورا لمواساتها

ـ انها فى حالة عصبية قاسية،وقد ذكر لى والدها الآن أنها ترفض مقابلة أحد

ـ ولكنى سأحاول

ولم تجد محاولتها نفعا ، فقد رفضت دورا أن يزورها أحد فى ذلك اليوم

وصحب جيمى جوان فى سيارة أجرة الى بيتها فى ضاحية شلسيا ، فلما هبطت واقتربت من مدخل البيت ، لاحظت وجود رجل غريب بالقرب منه ، فقالت لجيمى :

ـ أهذا حارس جديد ؟

ـ نعم

ــ هل معنى هذا اننى فى خطر ؟

ــ اننا جميعا معرضون للخطر حتى نضع أيدينا على كوبى وعصابته

ــ ولكن ، هل أنت واثق يا جيمى أن ركس لا شأن له بمقتل باركر وكوليت ؟

ــ كل الثقة ، بل ان ركس نفسه فى خطر ، وان القتلة المحترفين الذين يراقبون بيته هذا مكلفون باطلاق النار عليه اذا حاول الظهور فى أية لحظة ، وقد قبضنا على اثنين ، ولكن من يدرى ، فلعل هناك غيرهما دون أن ندرى

ــ لماذا ؟!

ــ لانهم لا يريدون منه أن يتصل بك بأية وسيلة ، وهذا هو سر قطعهم لاسلاك تليفونك ، ومراقبتهم لمنزلك

ــ وأين هو ركس الآن ؟

ــ لا أعلم ، بل لا أفهم سر اختفائه ، وأكثر من هذا لماذا يظل مختفيا حتى الآن .. لعله لا يعرف شيئا عن هؤلاء المتربصين له ليقتلوه ، لقد أثبتت التحريات أن هؤلاء القتلة لا يراقبون منزلك فقط ، وانما يراقبون منازل كل معارفه وأصدقائه ، ولعله أراد فى صباح اليوم الذى رأيته فيه ، أن يتصل بى ، ولكنه انصرف حين رأى أحدهم يراقب مسكنى ، والمؤكد أن كوبى مصمم على منع ركس من الاتصال بأحد



وانصرف جيمى عن جوان وهو يشعر بقلق خفى عليها ، يشعر أن هناك خطرا محدقا بها ، فان كوبى ، الذى لم يتردد لحظة فى قتل اثنين من أعوانه حرصا على مصالحه الخاصة ، لن يتورع عن قتل جوان اذا رآها عقبة فى طريقه

لم يعد كوبى مجرد مجرم حقير يسعى الى المال عن طريق الابتزاز والتهديد بالفضائح ، وانما غدا مجرما قاتلا رهيبا لايتورع عن شىء ، ولا يهاب شيئا

وقبل أن يغادر المنزل ، انتحى جانبا بالساقى العجوز فيليب الذى ظل فى خدمة أسرة والتون سنوات عديدة ، وقال له :

ــ ألديك مسدس يا فيليب ؟

ــ نعم ، انى أحتفظ بمسدس منذ انتهاء الحرب

ــ حسنا ، كن يقظا هذه الليلة ، فانى أتوقع أن يقتحم أحد البيت

ــ شــكرا لانك حــذرتنى يا سيدى ، ولكن متى تتوقع أن يأتى اللصوص ؟

ففكر جيمى برهة ثم قال :

ــ فيما بين الثانية عشرة والثالثة صباحا ، ، فبعد هذا يكون الفجر قد بزغ ، وقبل هذا يكون المقيمون فى البيت لم يناموا بعد

ــ حسنا يا سيدى ، لسوف أظل متيقظا حتى الثالثة صباحا

وعاد جيمى الى بيته وهو يدرك أن كوبى اذا اضــطر أن يضرب ضربته القاضية ، فلابد أن يضربها بسرعة

وقبل أن يأوى الى فراشه ، اتصل تليفونيا بادارة اســكتلنديارد وطلب من المفتش ديكر أن يرسل مخبرا آخر لمضاعفــة الحراسة على منزل جوان

وكان على حق فى هذا الطلب



الفصل الخامس عشر

أشباح الليل

أحس فيليب بالنوم يكاد يغلبه على أمره وهو جالس يقرأ فى ردهة الطابق الاول ، فطوى الكتاب ، ونهض ، وتمطأ وتثاءب ، ونظـر الى الساعة فاذا هى الواحدة والنصف بعد منتصف الليل ، وقرر أن يعد لنفسه قدح شاى ، ولكنه اختلس قبل أن يمضى الى المطبخ ، نظرة من وراء النافذة الى الشارع ، وفى هـذه المـرة لم ير المخبر البوليسى المكلف بمراقبته وحراسة مدخل البيت ، وكان فى كل مرة خلال ساعات الليل يراه وهو يروح ويجيء فى يقظة واستعداد . وخطر للساقى العجوز فيليب ان المخبر ذهب ليتبادل الحديث قليلا مع شرطى الليل فى منعطف الشارع ، وأنه لن يلبث حتى يعود ، وفيما هو يهبط الى الطابق الارضى ، حيث المطبخ ، شعر بتيار من الهواء البارد ينساب اليه من المطبخ ومن ثم أدرك أن الباب الخلفى قد فتح ، فأسرع وتناول مسدسه من جيبه ، ورفع عنه صـمام الامان ، ومد يده الى زر النور . وفى تلك اللحظة سمع حسيس شيء يشق الهواء ، وقبل أن يروغ منه ، اذا بضربة عنيفة تصيب راسه ، واذا هو يقع مغشيا عليه ، واذا بصوت يقول هامسا :

ــ كمم فمه وقيده وأغلق عليه باب الحمام



وكانت جوان تتقلب فى فراشها وهى بين النوم واليقظة ، ولعل حديث جيمى لها عن الخطر المحتمل قد أزعجها بعض الشيء ، أو لعلها استغرقت فى النوم أول الليل ، ولم تعد فى حاجة ملحة اليه فى النصف الثانى منه . وأيا كان الامر ، فقد تنبهت فجأة من نومهـا

الخفيف على صرير خافت فى الواح الارضية خارج باب غرفتها ، وسرعان ماهبطت من فراشها فى خفة وهى تكاد تسمع دقات قلبها المضطرب ، ثم تسللت على أطراف أصابعها الى الباب ، ووقفت وراءه ، ووضعت يدها على مقبضه . وكان السكون الرهيب مخيما على كل شيء ، ولكن دماءها كادت أن تتجمد فى عروقها حين شعرت بمقبض الباب تحت يدها يتحرك فى بطء شديد ، وكانت لحسن الحظ قد اغلقت الباب من الداخل بالمفتاح والرتاج . ثم سمعت وراءه همسات متبادلة ، فقالت وهى تحاول أن تجعل صوتها طبيعيا :

ـ من هناك ؟

ـ اننى فيليب ياسيدتى

وكادت أن تفتح الباب ، ولكنها تذكرت فجأة أن فيليب ما كان ليحاول الدخول قبل أن يستأذن وينقر على الباب ، ومن ثم قالت وهى تبذل جهدها لتسيطر على صوتها

ـ انتظر لحظة يافيليب حتى أرتدى ثوبا فوق ملابس النوم

وأضاءت الانوار فى الغرفة أولا ، ثم ارتدت ثوبها بيد مرتعدة ، بينما قال الصوت خارج الباب :

ـ أسرعى ياسيدتى

ـ سآتى حالا يافيليب

وكان لسريرها المعدنى الثقيل عجلات يجرى عليها ، فبذلت كل مالديها من قوة وحركت السرير حتى وضعته وراء الباب ، وثبتت عجلاته بعوائق من المجلدات وعلب الزينة ، هذا بينما كانت الاشباح الخفية تحاول تحطيم الباب والدخول عنوة

ورأت جوان لوحا يتحطم من الباب ، فأسرعت وتناولت مرآة معدنية الاطار ذات مقبض طويل ، وانهالت بها على الذراع التى امتدت من اللوح المكسور لتفتح الباب من الداخل ، وسمعت صيحة التوجع تخرج خافتة من بين شفتى الشبح وهو يسحب ذراعه الجريحة بسرعة

ولم تكن جوان تتوقع أن يسرع فيليب لاغاثتها ، لان هذه الاشباح

الخفية ما كانت لتجرؤ على مهاجمتها ما لم تكن قد تخلصت من الساقى العجوز ، ورأت الباب يوشـك أن يتحطم لولا السرير الذى وراءه ، وسمعت صيحة احدى الخادمات فى الطابق الاعلى ، ثم اذا طرق عنيف على باب المنزل الخارجى ، واذا هى تسمع أحد الاشباح وراء البـاب يقول لآخر :

ــ اهبط واقض على الطارق .

وانتهزت جوان هذه الفرصة ، ودست المنضدة الكبيرة بين السرير ومنضدة الزينة ، وهكذا أصبح من المستحيل على الاشباح أن تقتحم الغرفة

ولكن من هو الطارق ؟ انه سيتعرض للقتل على يدى أحد الاشباح اذا فتح له الباب

واندفعت جوان الى النافذة وصاحت قائلة للطارق :

ــ كن على حذر ، فان قاتلا يهبط الآن للقضاء عليك

فسمعت الطارق ــ وكان المخبر الثانى المرسل لمضاعفة الحراسة على البيت سمعته يقول :

ــ أهذا أنت يا مس جوان ؟

ــ نعم ، نعم ، ان بعض الناس يحاولون اقتحام غرفتى

وارتفع فى سكون الليل صرير صفارة البوليس ، وسمعت جوان الرجل الواقف وراء بابها يغمغم ساخطا ثم ينطلق هاربا

وتذكرت جوان أن فى حقيبة يدها الموضوعة على منضدة الزينة ، مفتاحا للباب الخارجى ، فتناولته وأطلت من النافذة وقالت للمخبر السرى :

ــ هذا هو مفتاح الباب الخارجى

وبعد أن ألقت به ، سمعت المخبر يقول :

ــ لقد عثرت عليه

وبعد خمس دقائق كانت جوان قد أزاحت السرير عن مكانه وراء الباب وهى ترتعد من قمة رأسها الى أخمص قدمها ، وسرعان ما أقبل المخبر السرى الذى قال لها بعد أن حدثته بالامر :

ـ وأين الساقى فيليب ؟

ـ لا أدرى ماذا فعلوا به

ـ سأهبط للبحث عنه

ـ دعنى أهبط معك ، فانى لم أعد أحتمل البقاء هنا بمفردى

وما هى غير لحظات بعد هبوط المخبر وجوان الى الطابق الاول حتى سمعا أنين فيليب ينساب من الحمام ، فأسرعا اليه وفكا قيوده ، ورفع المخبر الكمامة عن فمه ، بينما أسرعت جوان وغسلت رأسه ووجهه بالماء البارد ، فلما أفاق الرجل ، قال بصوت خافت قبل أن يغيب عن وعيه مرة أخرى :

ـ حمدا لله انك يا سيدتى بخير

وتعاون المخبر وجوان على حمله الى أريكة فى غرفته الصغيرة الخاصة، ثم انصرف المخبر الى التليفون ليتصل باسكتلانديارد ، ولكنه عاد يقول :

ـ ان أسلاك التليفون مقطوعة ، لسوف أرسل أحد رجال البوليس لاستدعاء طبيب

وفى تلك اللحظة كانت صفارة البوليس قد جمعت أربعة من الشرطة بملابسهم الرسمية أمام باب البيت ، وقد أسرع أحدهم لايقاظ جيمى تليفونيا واخباره بما حدث ،وفى أقل من نصف ساعة، كان مفتش البوليس الشاب قد وصل الى البيت حيث سأل المخبر الذى استقبله ، قائلا :

ـ ماذا حدث لزميلك المكلف بحراسة البيت ؟

ـ وجدناه بالقرب من هذا المكان مغشيا عليه ، يبدو أن أحدا تسلل وراءه ، وضربه على رأسه فأفقده الوعى

وقال الساقى فيليب بعد أن استرد صوابه :

ـ انتى مندهش كيف دخلوا البيت دون أن أشعر بهم ، اننى لم أسمع شيئا

ولكن جيمى لم يندهش ، فقد كان يعرف أنه يواجه عصابة مزودة بكل أسباب اقتحام المنازل

وأدرك أنه كان على حق فى تفكيره بأن كوبى فى حالة تحتم عليه الضرب بسرعة ولكن ، ماذا كان يريد من جوان ؟!

قال لها :

ــ انهم لم يكونوا يبغون قتلك ، والا لأطلقوا عليك النار من وراء الباب

ــ اذن ماذا كانوا يريدون ؟

ــ كانوا يريدون أن يختطفوك ويجعلوك رهينة لديهم . آه ... لقد أدركت شيئا من الحقيقة ، كانوا يهدفون الى أن يتخذوا منك شركا للايقاع بركس

وأيقن جيمى فى تلك اللحظة أن كوبى فى حالة يأس يزداد ساعة بعد أخرى ، وأن يأسه هذا يرجع الى اختفاء ركس والتون

وكانت الشمس تشرق ، وهو عائد الى بيته بعد أن ترك اثنين من الحراس داخل منزل جوان ، واثنين خارجه ، وكان موقنا بأن كوبى لم يلعب بعد بالورقة الاخيرة



ومرت الايام القليلة التالية على هذا الحادث ثقيلة مرهقة لاعصاب جيمى ، ولكنه اطمأن قليلا حين علم أن دورا استردت ثبات أعصابها ، وعادت للاقامة فى المنزل « ريفرسايد » بمصيف مارلو . أما جلسة التحقيق الابتدائى فى مقتل باركر وكوليت ، فقد طلبت ادارة البوليس ارجاءها أسبوعين حتى تتوافر الادلة على القاتل وعصابته

وقد علق جيمى على هذا فى حديثه مع زميله ديكر بقوله :

ــ هذا اذا استطعنا الحصول على دليل واحد

وقال ديكر باسما :

ــ لقد استلمت ، بهذه المناسبة ، رسالة تهديد من كوبى يحذرنى فيها أنا أيضا من اقحام نفسى فى شئونه الخاصة

ولم يسع جيمى الا أن يضحك برفق وهو يقول :

ــ أرجو أن يكون هذا آخر خطاب يرسله كوبى

وفوجىء جيمى فى مساء هذا اليوم بزيارة جوان له وهى تحمل

رسالة من دورا كولمان ، وهى تقول له :

ــ ارسلت دورا هذه الرسالة تدعونى فيها للاقامة معها فى منزل « ريفر سايد » بمصيف مارلو ، فما رأيك ؟

وكانت الرسالة ، كما قرأها جيمى ، مكتوبة بخط دورا ، رقيقة لطيفة تدعو فيها جوان للاقامة معها بضعة أيام فى مارلو ، وتؤكد لها ان المنزل بعيد عن ضجيج المدن ، وان أباها استخدم اثنين من الرجال العمالقة ليقوما على حراسته ، وأن المناظر الطبيعية المحيطة به ستكون كالبلسم الذى يخفف عن الاعصاب ما تنوء به تحت مثل هـــــذه الاحداث الجسام

وبدأ القلق على وجه جيمى ويقول :

ــ ما رأيك انت ؟

ــ أنت فى حاجة الى الابتعاد بعض الوقت عن هذا الجو

ــ نعم نعم ، ان لك العذر . ولكنى أخشى الا استطيع حمــــايتك هناك كما ينبغى ، فليس من اليسير على أن أصــــدر أوامرى الى بوليس اقليم باكنجهام الا لاسباب هامة

ــ ولكن لا تنس ان المستر كولمان يســتأجر عملاقين لحراسة المنزل

ــ حسنا حسنا ، يمكنك أن تذهبى



كان منزل « ريفر سايد » أقرب ما يكون الى « فيللا » خـلوية مشيدة بالخشب والحجارة فوق شواطىء منطقة مائية ينبت فيها البوص بكثرة ، وكان يبعد عن مدينة مارلو نفسها نحو ميل . وقد استقبلت دورا ضيفتها جوان على المحطة ، وصحبتها الى المنـــزل المكون من طابقين ، وتقوم شرفة الطابق الثانى على أعمدة ترتكز على أرضيته الحديثة ، وكانت أشجار السنديان تحيط به وتكاد تخفيه عن الانظار . أما مفروشاته ، فكانت جميلة ، مريحة ، وقد جلست جوان على مقعد وثير فى غرفة نومها بالطابق الثانى ، وأخذت تتبادل الحديث مع دورا عن تلك الاحداث المتوالية التى أصبحت جزءا من حياتهـــا ، واخيرا استبدلت ملابسها ، وهبطت مع دورا الى الممر

المنحدر من البيت الى ضفة النهر ، وهناك أشارت دورا الى مرساة صغيرة مغطاة وقالت لجوان :

ــ هذا هو زورقنا البخارى الصغير ، لسوف أعلمك الآن طريقة قيــادته

وفى خلال ساعة تعلمت جوان قيادة الزورق ، ثم عادت مع دورا الى المنزل حيث جلستا بعد العشاء الى نيران المدفأة . وقالت دورا فجأة :

ــ هل أخبرتك أن كوليت كان يريد الزواج بى ؟

ــ فقالت جوان :

ــ كم عدد الذين كانوا يرغبون الزواج بك ؟

ثم عضت على شفتها السفلى حين تبينت مافى عبارتها من جفــاء وغلظة ، أما دورا فقد ضحكت وأجابت قائلة :

ــ أوه ، عدد كبير لا أستطيع حصره ، فهناك رجال يطلبون يدك بنفس البساطة التى يدعونك بها الى وليمة عشاء ، ولا شك أن لك تجارب فى هذا الميدان

فاضطرم وجه جوان وقالت :

ــ لم يطلب أحد يدى حتى الآن

ــ اعتقد ان المفتش جيمى سيبنج سيطلب يدك فى يوم قريب

وغيرت جوان موضوع الحديث بقولها :

ــ فى أية مدرسة تعلمت يا دورا ؟

ــ لم التحق بالمدارس الا فى المرحلة الاولى ، ثم عهد بى أبى الى المدرسات الخاصات لاتمام تعليمى بالبيت ، وأنا أعتقد أن الفتاة الثرية فى غير حاجة الى أكثر من الثقافة والاطلاع واتقان التعبير بأسلوب سليم . . أرى يا جوان انك متعبة وفى حاجة الى النوم

واستيقظت جوان فى الصباح على رنين أدوات الشاى وخادمة دورا داخلة بها ، فنهضت وسألتها عن سيدتها ، فقالت :

ــ ذهبت الى النهر وطلبت منا الا نوقظك قبل الساعة العاشرة صباحا

فوثبت جوان من فراشها وهى تهتف فى مرح :

ــ وهل الساعة الآن العاشرة ؟ لقد زادت عن العاشرة .. سوف أذهب الى دورا

ولما وصلت الى ضفة النهر ، رأت دورا تغادر الزورق وتشده الى المرساة ثم تقفز الى الشاطىء وتبتسم لجوان قائلة :

ــ لو أنك بكرت فى اليقظة لاستمتعت بالسباحة معى

فقالت جوان وهى تحدق النظر فى صفحة وجه دورا :

ــ ماذا حدث لوجهك يا دورا ؟

فاضطربت دورا واحمر وجهها وهى تقول :

ــ آه ، لا شىء ، لقد ذهبت الى احدى الجزر النهرية الصغيرة وتعثرت قدمى

ولم تشأ جوان ان تمعن فى سؤالها ، لانها أدركت ان العلامات المرتسمة على وجه دورا لا ترجع الى تعثرها أو سقوطها ، وانما الى صفعة قوية أصابت خدها ، فقد بدت علامات الاصابع واضحة كل الوضوح عندما ارتفعت الدماء الى وجه دورا من فرط الاضطراب



وأمضت الفتـــاتان سحابة النهار فى الرياضة والنزهة بالزورق البخارى والحديث والقراءة ، وفى المساء ، بعد العشاء ، قالت دورا وهما جالستان على احدى الارائك الوثيرة بالقرب من المدفأة

ــ سوف يحضر أبى غدا أو بعد غد ، هكذا أخبرنى تليفونيا

وأحست جوان ، مع مرور اللحظات ، أن دورا تزداد اضطرابا وقلقا ، وحدث ان لمحتها ترهف السمع نحو النهر ، وقد فتحت شفتيها فى شىء من الخوف ، وشحب وجههـــا ، وبدأ الذهول فى نظراتها ، فقالت لها :

ــ ماذا بك يا دورا ؟!

فردت دورا مضطربة :

ــ لا شىء ، كنت أفكر .. اننى .. حسنا تعالى الى غرفتى يا جوان

وفتحت دورا درجا فى منضدة الزينة بغرفتها وتناولت مسدسا سريع الطلقات ، وقالت لجوان بصوت حاولت أن تجعله طبيعيا :

ــ هل تعرفين كيف تطلقين النار من مسدس كهذا يا جوان ؟

ــ نعم ، فقد دربنى أخى ركس على الرماية وأنا فى سن الصبا . ولكن لماذا ؟!

ــ لأننى أشعر بقلق ، ويخيل لى أن أعصابى ليست كما ينبغى ، ولهذا سوف أعيرك مسدسى هذا ، أو ملاكى الحارس كما أسميه ، وذلك خوفا من أن أسىء استعماله بسبب اضطراب أعصابى

وطوقت عنق جوان بذراعها ، وعادت معها الى غرفتها حيث أسدلت الستائر وهى تقول لها :

ــ ان التهوية فى هذه الغرفة يا عزيزتى جوان كافية ، فلا داعى لفتح النوافذ قليلا أثناء النوم ، ويحسن أن أتأكد من احكام اغلاقها

ــ ولكن لماذا كل هذه الحيطة ؟ هل تتوقعين حدوث شيء ؟!

ــ اننى اتوقع كل شيء ، ان أعصابى لا تزال مضطربة ، وأرى أن اتخاذ الحيطة والحذر خير من التواكل

ثم وضعت المسدس على منضدة الزينة ، واردفت قائلة وهى تقبل الفتاة :

ــ طابت ليلتك يا جوان ، لا تنسى أن تغلقى باب غرفتك من الداخل بالمفتاح ، فليس هناك أفضل من الباب المغلق على النائم ليلا فى أية ظروف

واغلقت جوان الباب بالمفتاح من الداخل ، وجلست برهة تفكر فيما قالته دورا ، وأخير تناولت المسدس وفحصته ، ثم هزت كتفها وضحكت فى رفق وهى واثقة ان الامر كله لا يعدو أن يكون تهاويل أعصاب مضطربة

وبعد خمس دقائق من رقادها ، استغرقت فى النوم ، ولم تستيقظ الا حين لمست قدمها احدى قوائم السرير ، فهزت هذه اللمسة أعصابها ، وأيقظتها تماما ، وجعلتها تجلس فى السرير منتصبة متوترة الاعصاب مرهفة السمع . ولم يكن فى مقدورها أن تبصر شيئا بسبب

الظلام الدامس . ولكنها أحست بوجود شخص ما فى الغرفة : فقد سمعت حفيف أنفاسه الخافت

وشعرت كأن شيئا باردا كالجليد يجرى فى عمودها الفقرى ، ثم تذكرت المسدس ، فمدت يدها الى منضدة السرير فوجدته ، وسرعان ما امسكت بمقبضه بينما سمعت صوتا خافتا يقول لها فى الجانب الخلفى من الفراش :

ــ حذار أن تضيئى نور الغرفة والا فقدت حياتك

ــ من أنت ؟

ــ انهضى ، فانى أريدك

وكانت جوان فى تلك اللحظة قد ازاحت صمام الامان عن المسدس . ثم اذا هى تطلق رصاصتين متتالتين ، فسمعت صيحة خوف تند عن الرجل مقرونة بصوت تحطيم زجاج .. وفى اللحظة التالية كانت قد وثبت من فراشها واندفعت الى باب الشرفة ففتحته وخرجت اليها وهى لا تكاد تدرى ماذا تفعل ، فقد كان الخوف الرهيب هو الذى يدفعها للقيام بكل هذه التصرفات ، واخيرا استدارت وهى فى الشرفة وصوبت المسدس الى الغرفة وقالت :

ــ سوف اقتلك اذا انت اقتربت منى

وفى سرعة البرق كانت تهبط منزلقة على احد الاعمدة التى ترتكز عليها الشرفة ، حتى اذا ما لمست قدماها الارض ، اندفعت تجرى وهى لا تزال ممسكة بالمسدس

ولم تكن تدرى الى أين تتجه ، ولكنها تذكرت الزورق البخارى ، فانحرفت فى عدوها الى الممر ، واندفعت نحو ضفة النهر ، حتى اذا بلغت المرساة وثبت الى الزورق ، وتنهدت فى ارتياح عندما استطاعت أن ترفع عنه السلاسل التى تشده الى المرساة ، وحين أمكنها أن تدير محركه ، وأن تستدير به الى منحدر النهر . وفيما كان الزورق ينساب رويدا رويدا ، رأت شبحى رجلين يزحفان بسرعة نحو ضفة النهر على أيديهما وأرجلهما ، لائذين بالشجيرات وبنبات البوص ، وقد تبينت أن الاول منهما هو أحد « الحارسين العملاقين » اللذين قالت دورا أن أباها استأجرهما للحراسة وللعمل فى الحديقة

ولما سمع الرجلان أزيز المحرك ، قال أحدهما :

ــ لا تهربى ، اننا لا نريد بك سوءا

ثم اذا هى ترى وميضا أعقبه صوت رصاصة مرت فوق رأسها واستقرت فى احدى القوائم الخشبية للزورق ، ولم يكن للطلق النارى دوى مما جعلها تدرك أن القاتل يستخدم مسدسا بكاتم للصوت

فأسرعت بتوجيه الزورق نحو الجانب الآخر من ضفة النهر ، وخيل اليها برهة أن قاعه قد التصق بالطين ، ولكنها اطمأنت حين رأته ينساب وان كان فى بطء لان بطاريته كانت فى حاجة الى اعادة شحنها

ورأت مطارديها يندفعان وراءها فى قارب بمجدافين ، وتلفتت حولها وهى ترجو أن ترى بوليسا نهريا بالقرب منها ، ولكنها لم تجد غير المطاردين يقتربان بسرعة نحوها ، وفجأة اصطدم زورقها بصخرة ، فى جانب الشاطىء ، فانكفأت على وجهها ، وسقطت فى قاعه ، فلما أفاقت لنفسها ، وجدت أنها نصف غارقة فى المياه التى تسربت الى الزورق من الثغرة التى أحدثها الاصطدام بقاعه ، وبحثت عن مسدسها فلم تجده ، ورأت الزورق يطفو ثم يسير مع التيار تجاه يخت كبير فى مدخل النهر ، وأدركت أنه سيصطدم مرة أخرى بجانب اليخت ، ولا بد أن يغرق هذه المرة

وبالفعل ، اصطدم الزورق بجانب اليخت ، وأغمضت جوان عينيها وهمت بالقاء نفسها فى النهر ، ولكنها شعرت بذراع تمتد اليها وتجذبها الى أعلى ، وسمعت صوتا ينم عن الفوز يقول لها :

ــ آه ، أهذه أنت يا مس جوان والتون ؟



الفصل السادس عشر

جريمة فى الطريق العام

كان جيمى سيبنج فى مكتبه بادارة اسكتلانديارد فى الخامسة صباحا عندما دق جرس التليفون ، واذا المتحدث يقول له :

ــ تعرض منزل المستر كولمان ليلة أمس لحادث سطو

ووضع جيمى السماعة ، وأسرع الى منزل المستر كولمان حيث وجد المفتش ديكر قد سبقه الى هناك ، وراح يسأل صاحب المنزل والساقى بنيت

وتبين المفتشان من اجابات الرجلين ومن التحريات ان اللصوص لم يصعدوا الى الطوابق العليا من المنزل بل ركزوا اهتمامهم فى الطابق الاول ، ولا سيما المطبخ ودورة المياه ، وقد أكد الساقى بنيت انه كان مستغرقا فى النوم فلم يشعر بدخول اللصوص ، ولم يستيقظ الا حين سمع أحد رجال البوليس ، يصيح وهو واقف فى ردهة السلم قائلا : « من هناك ؟ » . فلما هبط اليه قال له رجل البوليس انه رأى باب المنزل مفتوحا ، فدخل وصاح مستفسرا ، وهو يخشى ان يكون المنزل قد تعرض لسطو اللصوص . ولم يكن به غير بنيت الذى احتل غرفة الساقى السابق ــ باركر بالطابق الاعلى ، اما المستر كولمان فكان يقيم فى الفندق المجاور ، وأما الخادمات ، فكن عند اهليهن لانهن ينصرفن اليهم فى المساء

ورغم التحريات والابحاث والتفتيش المتواصل ، لم يستطع رجال البوليس او المستر كولمان ان يجدوا شيئا واحدا مفقودا من المنزل .

وأخيرا هز المفتش سيبنج رأسه فى حيرة قائلا :

ــ لعل اللصوص لم يجدو الفرصة الكافية لسرقة ما يريدون

وقال المفتش ديكر :

ــ ان اللصوص الذين اقتحموا المنزل لم يغامروا بأنفسهم لسرقة شيء عادي . لا شك ان وراء عملية السطو هدفا خاصا

وكان الجميع فى تلك اللحظة واقفين بالقرب من فتحة المخزن السرى لقبو الخمر ، فانحنى جيمى وأزاح عن الفتحة السرية صندوق المتاع ، وعندئذ أسرع المستر كولمان يقول :

ــ أعتقد انه ليس فى المخزن السرى ما يستحق السرقة

فقال جيمى وهو يرفع الباب الحجرى ويسلط ضوء المصباح الكهربائى على ظلام المخزن

ــ وماذا يضيرنا أن نرى ؟

ثم هتف فجأة :

ــ اه ، يبدو انك فقدت صندوقى الخمر المعتقة يا مستر كولمان ، فانى لا أرى لهما أثرا ، هذا اذا لم تكن قد أعدتهما الى صاحبهما الاول

وهز المستر كولمان رأسه وقد امتقع لون وجهه حتى أصبح كوجوه الموتى ، وارتعدت أصابعه ، واهتزت شفتاه ، وحاول أن يقول شيئا ، ولكن الصوت خانه مرتين أو ثلاثا ، وأخيرا قال بصوت مختنق :

ــ سرق الصندوقان ؟ أتقول يا مستر سيبنج أن اللصوص سرقوا صندوقى الخمر ؟ لا لا لا . . . انك لا تعنى هذا ، مستحيل ، مستحيل

فنظر جيمى الى كولمان مشدوها وقال بصوت هادىء :

ــ لماذا تنزعج هكذا لضياع صندوقين من الخمر يا مستر كولمان ؟

فتمتم الرجل بصوته المختنق قائلا :

ــ انهما ، انهما أمانة لدى . . . انهما . . .

وخيل الى جيمى أن الرجل يوشك أن يقع مغشيا عليه ، فأمسك بذراعه ، وقال له :

ــ تمالك نفسك يا مستر كولمان ، فانه مهما بلغ ثمن الصندوقين ، فانهما لايستحقان كل هذا الحزن والانزعاج

وكان الساقى بنيت ــ بهدوئه المعتاد ــ قد ذهب لاحضار مفتاح طلبه جيمى ، وكان المفتش ديكر راكعا بجانب فتحة المخزن السرى يسلط الضوء الكهربائى على جوفه المظلم ، وفجأة ركع كولمان بجانبه

ودار بعينيه فى جوانب المخزن ، ثم انتصب قائما وهو يقول فى صوت ملؤه اليأس :

ـ نعم ، ضاع الصندوقان ، وضاع ...

ثم توقف برهة ونظر الى جيمى الذى كان يستعد للعودة الى اسكتلانديارد وقال :

ـ هل تسمح لى بالذهاب معك ، فانى لم أعد أطيق المكث فى هذا المنزل والا ضاع عقلى ، آه ، قتل المسكين باركر ، وقتل كوليت المحامى ، و ...

ـ ولماذا تجمع بين الاثنين ؟

ـ وماذا أستطيع أن أقول غير هذا ، ألم أكن على صلة وثيقة بهما ؟ ألم يكن أحدهما خادمى والثانى ابن أخى ومستشارى ؟

فنظر جيمى فى ساعته فاذا هى السادسة صباحا ، فالتفت الى المستر ديكر وقال له :

ـ هل ستأتى معى الى الادارة ؟

ـ لا ، ليس الآن ، فان لدى مهمة أخرى أرجو أن أفرغ منها قبل العودة الى الادارة

وعاد المستر كولمان يقول لجيمى فى صوت كأنه التوسل :

ـ هل تسمح لى بمصاحبتك يا مستر سيبنج ؟

ـ الى اسكتلانديارد ؟ حسنا ، لا مانع لدى اذا أردت

ـ نعم ... نعم ، أريد أن أذكر لك شيئا ، شيئا مهما جدا

ـ هلم اذن

وسارا معا فى ميدان لانجهام ، ومنه الى شارع ريجنت حيث كان المارة فى تلك الساعة المبكرة قليلين ، وفى اثناء السير قال كولمان :

ـ لعلك تتساءل فى نفسك يا مستر سيبنج عن سر انزعاجى الشديد لضياع صندوق الخمر ، فما كان يليق بى وانا أحد كبار الموظفين أن ...

وتوقف عن الحديث فجأة ، ثم أردف قائلا فى صوت متخاذل :

ـ آه ، انى لازلت أتحدث بحماقة بالغة

ولزم جانب الصمت بعد هذا حتى عبر مع جيمى ميدان بيكاديللى

الى شارع هايماركيت ، وفيما هما ينحدران الى شارع كوكسبر ، اذا بدراجة بخارية تنطلق نحوهما من الخلف وهى تملأ الشارع بهدير محركها المزعج ، وكان راكبها مرتديا سترة من الجلد الاصفر ، وخوذة محكمة على رأسه ، ونظارات كبيرة تحجب نصف وجهه ، وكان هدير المحرك يدل على ان الراكب قد نزع عن ماسورة العادم كاتم الصوت مما جعل جيمى يقول ممتعضا حين تجاوزتهما الدراجة ذات الهدير الشديد

ــ ياله من راكب مزعج

وعندئذ شعر بالمستر كولمان يميل عليه ، فأخذه بين ذراعيه وهو يقول له :

ــ ماذا بك يا مستر كولمان ؟ !

ولكن الرجل لم يجب ، وانما تهاوى على الارض فى ثقل وتراخ وأسرع احد رجال البوليس لمعاونة جيمى الذى قال :

ــ يبدو انه سقط مغشيا عليه

فقال رجل البوليس فى صوت ينم عن الريبة :

ــ من هذا الرجل ؟

ــ انه المستر كولمان ، وانا المفتش جيمى سيبنج ، هذه بطاقتى

وفجأة لمح جيمى ، وهو ينحنى على كولمان ، خيطا من الدماء ينساب على عنقه ، فهتف قائلا وهو يفك معطفه وسترته :

ــ عجبا ! انه جريح

وكانت الرصاصة قد اصابت المستر كولمان فوق القلب مباشرة ، وقضت عليه فى الحال . وأشار رجل البوليس الى باب مغلق لأحد المتاجر وقال :

ــ الرصاصة القاتلة احدى ثلاث رصاصات اطلقت على القتيل ، وهذه آثارها على هذا الباب

فقال جيمى :

ــ هل سمعت هدير الدراجة البخارية التى مرت منذ لحظات ؟

ــ نعم وكنت اوشك ان اخالف راكبها لانه لا يضع كاتم صوت فى ماسورة العادم

ــ ولكنه يضع كاتم صوت فى مسدسه !!

الفصل السابع عشر

المفتش ديكر يختفى

كان أول ما خطر ببال جيمى بعد أن أفاق من صدمة الحادث ، هو الأثر الذى سيتركه مصرع كولمان فى نفس ابنته دورا ، وقد رأى أن يخبرها بالحادث فورا ، ولكن المفتش ديكر طلب منه أن يسوق اليها الخبر تدريجيا حتى لا تنهار أعصابها المضطربة ، وكانت الادارة قد أصدرت تعليماتها السريعة بالقبض على راكب الدراجة البخارية ذى الرداء الاصفر ، ولكن الجهود التى بذلت للقبض عليه لم تسفر الا عن العثور على الدراجة البخارية ـ بلا أرقام ـ فى دغل من الشجيرات فى طريق فايتسبريدج ومعها السترة الجلدية الصفراء والخوذة والنظارة الكبيرة

وعلم المفتش ديكر من تحرياته فى وزارة المالية أن المستر كولمان القتيل لم يكن غير كاتب صغيرالشأن فى ادارة الحسابات بها ، وأنه التحق بالعمل أثناء سنوات الحرب ، أى عندما كانت الوزارات تعانى أزمة فى الموظفين ، وأنه ظل يقوم بالعمل بعد الهدنة ، وأن أحدا من زملائه لم يكن يعرف شيئا عن حياته العائلية الخاصة

ولما ذهب المفتش الى منزل القتيل ، وجد أن أخبار مصرعه قد سبقته اليه ، واذا الساقى ـ السائق بنيت يستقبله دامع العينين ويقول له وهو يصحبه الى غرفة الاستقبال :

ـ يا لفظاعة هذه الاحداث يا سيدى ! أولا المستر باركر ، ثم المستر كوليت ، وأخيرا سيدى المسكين

وجمع ديكر أوراق القتيل الخاصة كلها ، وعندما عاد جيمى الى اسكتلنديارد بعد أن تناول فى ناديه افطارا خفيفا ، وجد السائق

الساقى بنيت فى انتظاره حاملا مظروفا ضخما مغلقا ، وقال له :

ـ هذه أوراق سيدى المسكين المستر كولمان ، جمعها جناب المفتش ديكر وأرسلنى بها اليك ، وهو يقول لك آنه يعتقد أنه عثر أخيرا على كوبى

فتمتم جيمى فى دهشة :

ـ أحقا ؟ وأين هو الآن ؟

ـ انه أسرع لركوب قطار الثامنة والنصف صباحا المسافر الى نورثامبتون أو هذا ما قاله ، والآن ، ماذا افعل الآن ؟ فانى شديد القلق على مس كولمان

ـ هل بلغها النبأ ؟

فهز بنيت رأسه ثم قال :

ـ هل تعرف من هو كوبى يا سيدى المفتش ؟ ان لى رأيى الخاص فى هذا الموضوع ، ولعلك ستحسبنى مجنونا أو غبيا اذا أخبرتك برأيى هذا

ـ من هو فى رأيك يا بنيت ؟

ـ انه المستر ركس والتون نفسه ، وهذا هو رأى المستر كولمان أيضا ، رحمه الله ، لقد سمعته يناقش مس دورا فى غضب ويؤكد لها أن كوبى لن يكون أحدا غير ركس والتون .

فقال جيمى فى حدة :

ـ يمكنك أن تطرد هذه الفكرة من رأسك يا بنيت ، ان المستر والتون أبعد ما يكون عن ارتكاب هذه الجرائم

ولما رأى أن الرجل غير مقتنع ، أردف قائلا فى لهجة رقيقة :

ـ اننا على كل حال لا نشتبه في أحد حتى الآن يا بنيت وان كان المفتش ديكر يشتبه فى المستر كولمان ، حسنا ٠٠ اننى لا أدرى الآن ماذا يجب أن نفعل بعد وفاة مخدومك ، ولكنى أرى أن نبقى بالمنزل حتى تحضر مس دورا وتقرر ما تراه بشأنك أنت وبقية الخدم ، ولسوف أذهب اليوم الى مارلو لأراها ٠٠ وبهذه المناسبة ، ألم يقل المستر كولمان شيئا آخر عن ركس والتون ؟

فتردد الرجل برهة ثم قال :

ـ لا ، لم يتناوله الا بعبارتين أو ثلاث عبارات قاسية ، وكان فى الوقت نفسه يشتبه فى كثير من الناس٠٠كان يعتقد أن كوبى واحد من رجال إسكتلنديارد الذين يعرفون ـ بحكم عملهم ـ الشىء الكثير عن أسرار الناس

وفجأة ومضت بذهن جيمى فكرة جعلته يقول بهدوء :

ـ ألم يشر المستر كولمان فى حديثه أبدا عن شخص اسمه تودهايدن ؟

ـ تودهايدن ؟٠٠ لا يا سيدى ، اننى لا أذكر أنه نطق بهذا الاسم أمامى ، وأنا فى الواقع لم أكن على اتصال وثيق بالاسرة يتيح لى حرية الحديث مع أفرادها ، وكذلك لم يكن المستر كولمان من الرجال الذين يتحدثون مع الخدم عن شئونهم الخاصة

وفيما كان بنيت ينصرف عن المكتب ، أقبل أحد السعاة الى جيمى ببرقية ، فوضعها جانبا وهو يحسبها احدى البرقيات العادية الكثيرة التى تنهال على الادارة ليلا ونهارا ٠ ولما فرغ من كتابة تقريره ، تناول البرقية فى تراخ ، وفضها ، فاذا هو يقفز واقفا حين قرأ فيها ما يلى :

« أسرع فورا الى مارلو ٠ لقد اختفت جوان »

وكان التوقيع « دورا »

اختفت جوان ؟!

ان الكلمات تتراقص أمام عينيه وهو ينظر الى البرقية بوجه شاحب ٠ وفيما هو يندفع الى خارج الادارة ، رأى أحد المفتشين المساعدين يهم بركوب سيارة بوليسية ، فشرح له جيمى الموقف ، ثم وثب الى السيارة التى تركها له المساعد فورا ، وطار جيمى بها فى الطريق الزراعى الملتوى المؤدى الى مارلو

ولما هبط أمام المنزل ، وجد السكون مخيما حوله ٠ السكون العميق الرهيب ، وطرق الباب طويلا ، ولكن أحدا لم يفتحه ، ودار حوله ، فوجد باب الخدم مغلقا أيضا بالرتاج ، فعاد الى الباب الامامى ، ونظر الى أعمدة الشرفة ، ولم يتردد فى تسلقها الى الطابق الثانى ، ثم دخل من باب الشرفة الى غرفة بدا له بوضوح أنها غرفة سيدة ٠ وكان الفراش يدل على أن شخصا ما كان نائما عليه ، وكانت ملابس

صاحبة الغرفة مطوية وموضوعة بعناية على مقعد بها ، وكان زجاج النافذة محطما ، وكذلك مرآة خزانة الملابس الواقعة وراء السرير ، وكان الكسر يبدو بوضوح أنه ناشىء من رصاصة مسدس ، وفجأة أحس بقلبه يهوى بين ضلوعه حين وقعت عيناه على حقيبة يد جوان موضوعة على منضدة بالغرفة

اذن فهذه الغرفة التى كانت مخصصة لمبيت جوان

زجاج محطم ٠ وآثار طلقات نارية٠وباب شرفة مفتوح وباب الغرفة أيضا

وغادر الغرفة الى ردهة صغيرة على السلم ، ومنهـا الى غرفة نوم صغيرة علم من محتوياتها أنها كانت مخصصة للمستر كولمان٠وفيما هو يحاول أن يفتح باب غرفة ثالثة ـ على غيرجدوى ـ اذا به يسمع أنينا خافتا ينساب منها ، واذا صوت واهن يستغيث به ، فتراجع قليلا عن الباب ، ثم ركله فى قوة بالغة بقدمه ، فانفتح على مصراعيه ، واذا هو يقف معقود اللســان أمام دورا كولمـان ، وهى مكومة على نفسها ، مقيدة اليدين والقدمين ، شاحبة الوجه ، مقرحة الاجفان ، مرتعدة الشفتين ، فنظر اليه فى ضراعة وابتهال

وظل جيمى واقفا برهة ينظر اليها فى صمت وذهول٠أهذه الفتاة ذات العينين الحمراوتين ، والجسم المعلم بالـكدمات هى نفسها دورا كولمان ! ولكنه لم يلبث أن انتفض منتبها لنفسه ، فوثب اليها وفك عنها قيودها ، وسرعان ما تهالكت مغشيا عليها حتى خيل الى جيمى أنها تحتضر

ولما حاول الاتصال تليفونيا بأقرب مركز للبوليس ، وجدالاسلاك ـ كالمعتاد ـ مقطوعة ، وعثر فى غرفة الطعام على زجاجة براندى ، فأسرع بها ، ودلك بالخمر يديها وذراعيها وبلل جبينها حتى استردت صوابها ، فقال لها :

ـ أين جوان ؟

ـ اننى لا أعرف ، لقد بذلت كل جهدى يا جيمى ، كل جهدى ٠ انها أطلقت النار عليهم ، وأعتقد أنها نجت،لانه عاد غاضبا وضربنى بقسوة وقيدنى كما ترى

ـ من هو ؟!

ـ تود هايدن

فانعقد لسان جيمي برهة ، بينما أردفت هي قائلة :

ـ انك لا تعرف من هو تود هايدن يا جيمي ، فما الفائدة ؟

ـ اخبريني يا دورا ، ما علاقة تودهايدن بك ؟!

فقالت بمرارة :

ـ لا شيء أكثر من أنه سيدي وسيد كولمان ... كولمان المسكين لا مفر من أن يقتل على أيديهم

وأبى جيمي أن يصدق أذنيه لفرط الغرابة ، وأخيرا قال :

ـ أولم يكن المستر كولمان والدك ؟!

ـ لا ، ليس بيني وبينه أية صلة من القرابة ، هل قتلوه ؟

ـ نعم ، من هو كولمان يا دورا ، أهذا هو إسمك الحقيقي ؟

ـ ان اسمي دوروثي ماي ليديارت . ابنة الليدي مارجريت ليديارت التي ضيعت ثروتها على موائد الميسر

ـ ومن هو تودهايدن ؟

ـ انني لا أستطيع أن أذكر لك عنه شيئا ، هذه تقاليدنا التي لا نستطيع أن نحيد عنها مهما تكن الظروف ، وعليك أنت أن تقبض عليه بدون مساعدة مني

ومرة أخرى وقعت مغشيا عليها

ولما أفاقت وشربت قليلا من الماء ، حدثت جيمي بما تعرف عن حادث اختفاء جوان . فقالت انها استيقظت على دوي الطلقات النارية ، وانها سمعت تودهايدن يقول : « لقد هربت الى شاطيء النهر » ، ولم تعرف بعد هذا شيئا ، ثم قالت :

ـ من المحتمل أن تكون قد هربت بالزورق البخاري ، فقد علمتها كيفية قيادته لأنني كنت أتوقع أنها ستحتاج اليه يوما . ماذا تنوي أن تفعل بي يا مستر سيبنج ؟

ـ أخشى أن أقول انك ستقدمين للمحاكمة بتهمة الاتفاق الجنائي على ارتكاب هذه الجرائم ؟

ـ انني لا أعرف شيئا عن هذه الجرائم ، آن تودهايدن لم يكن يفضي الى بأسراره أبدا

ـ ولكن ، ما هى العلاقة الحقيقية بينك وبين تود ؟

ـ لا شيء ، كنت آلة مسخرة فى يده ، ولكنى من الناحية الاخرى فتاة شريفة طاهرة الذيل كما كنت تماما وأنا طفلة فى المهـــد ٠ ان تود هايدن لم يحب فى حياته الا فتاة واحدة فقط تدعى جوليا ، ولما علم مؤخرا بعلاقتها السابقة برجل يدعى نيبى كاولز ، أبى أن يصدق حتى وقعت بين يديه رسائلها الغرامية الى نيبى ٠ ولست أعرف ماذا فعل بها ، ولكنى أعرف فقط أنه لم يكن يهتم بالعلاقات النسائية ، وانما هو يركز كل اهتمامه فى الحصول على المال الوفير ٠٠٠ الوفير جدا !

ثم أردفت قائلة بعد برهة صمت :

ـ عليك يا جيمى ـ وأرجو أن تسمح لى بمناداتك بهذا الاسم الذى تعودت عليه ـ عليك أن تسرع فى القبض عليه والا سبق هو وقضى عليك ، فانه بعد عودته من ضفة النهر قال لى اننى غدرت به وسلمت جوان مسدسا للدفاع عن نفسها ، ولهـذا ضربنى وقيدنى بقسوة ، وكان قد ضربنى على وجهى أمس صباحا عندما التقيت به فى احدى جزر النهر ، وذلك لانى أعربت له عن نفورى من وسائله الاخيرة، وفى بكور هذا الصباح جاء بائع اللبن ، واستطعت أن أطلب منه ارسال البرقية التى وصلتك بعد أن وعدته بمكافأة سخية

ومضى جيمى الى الخارج آملا أن يجد أحدا يرسله بخطاب الى بوليس مدينة مارلو ، وبعد أن سلم الخطاب الى شاب يركب دراجة ، عاد الى البيت وقال لدورا :

ـ لن أذكر دورك فى هذه الاحداث يادورا سواء كنت مخطئا فى هذا أم على صواب ، ويمكنك أن تذكرى فى التحقيق ما تشـــائين ، ولكن تود يجب فى هذه الحالة أن يكون شخصا غريبا عنك ، لاعلاقة لك به ، وانه بالنسبة لك مجرد لص اقتحم عليك البيت

فأومأت برأسها وقالت :

ـ لن أنسى لك هذا الجميل يا ٠٠٠ جيمى

ثم أردفت قائلة حين رأته يهم بالانصراف :

ـ اننى أحب ركس والتون، هذه هى الحقيقة الخالصة ، وأنا لاأتوقع أن تصدقنى ، لقد اشتركت حقا فى المؤامرة التى دبرت لتجريده من

ثروته ، ولكنني أحببته ولا زلت أحبه ، وكان هذا الحب من العوامل التي أضاءت لي طريق الشرف

وغادر جيمي المنزل بعد وصول رجال البوليس لحراسته ، ولم يضيع وقتا في البحث عن جوان ، مستعينا برجال من ادارة المباحث بمدينة مارلو ، ولكن الجهود المضنية لم تسفر الا عن العثور على الزورق البخاري غارقا في جانب من النهر عند احدى جزر المصب

وعاد جيمي الى اسكتلانديارد شاحب الوجه ، غائر العينين ، مرهق السمات ، حائر النظرات ، وما كاد يتهالك في مقعده ليستريح حتى أقبل عليه زميله المفتش ليفي وسأله قائلا :

ـ أين المفتش ديكر يا جيمي ؟

ـ لا أعرف ، آه ... لقد ذهب الى نورثامبتون للقبض على كوبي ، أو هذا ما قيل لي على الاقل

ـ من قال لك هذا ؟!

ـ الرجل الذي أحضر أوراق كولمان الخاصة ، اسمه بنيت ، الساقي ، والسائق سابقا في منزل المستر كولمان ، قال ان ديكر أسرع للحاق بقطار الثامنة والنصف صباحا الى نورثامبتون

ـ لا توجد قطارات الى نورثامبتون تقوم في الثامنة والنصف صباحا وان ديكر يعرف هذه الحقيقة تماما ، ولم يسبق أن قام قطار في هذا الموعد أبدا ، فهناك قطار يقوم في التاسعة ، وآخر في التاسعة والنصف ، وليس من المعقول أن يغفل ديكر عن هذه الحقيقة . أين شوهد آخر مرة ؟

فقال جيمي وقد استرد نشاطه فجأة وتناول من درج مكتبه مسدسا وضعه في جيبه :

ـ في منزل كولمان . استدع كل ما لديك من قوات احتياطية للقبض على تود هايدن ، واني أراهن بأي مبلغ أن كوبي وهايدن وبنيت شخص واحد

الفصل الثامن عشر

قتيلة فى سكون الليل

وصل جيمى وأعوانه الى منزل كولمان متأخرين ، فرغم البحث الدقيق ، فانهم لم يعثروا على أثر لبنيت ، ولكنهم عثروا على المفتش ديكر فى المخزن السرى بقبو الخمر وهو بين الموت والحياة بسبب الاختناق بالهواء الفاسد . وقد ذكر بعد أن أفاق انه فوجىء بضربة على راسه بعد ان جمع أوراق كولمان ووضعها فى ظرف مختوم ، ولم يدر شيئا بعد هذا

وعثر رجال المباحث فى غرفة بنيت العليا على قفاز أصفر من الجلد ، وعلى رخصة قيادة دراجة بخارية باسم بنيت

وهكذا أيقن جيمى تماما ان بنيت هو الزعيم المدبر المنفذ لكل هذه الجرائم ولكن ، أين جوان ؟ هل ضاعت جوان ؟

وعاد جيمى يجر ساقيه الى اسكتلانديارد حيث فوجىء بأحد الضباط يستقبله فى الفناء قائلا :

ــ كابتن سيبنج ، تلقينا رسالة لاسلكية منذ عشر دقائق ، ان جميع الذين سمعوها لايكفون عن الاتصال بنا تليفونيا ليبلغوها الينا ، هذه هى

ونظر جيمى الى العبارة المكتوبة فاذا هى :

« بلغوا الكابتن سيبنج باسكتلانديارد اننى فى أمان .. جوان »

وتهالك على أقرب مقعد اليه وهو يقول متنهدا :

ــ متى أذيعت هذه الرسالة ؟

ــ فى التاسعة والنصف ، ثم تكررت اذاعتها بين البرامج الموسيقية مرتين وقرأ جيمى الرسالة مرة ثانية .. وثالثة وأحس كأن عبئا

ثقيلا قد ازيح عن قلبه ، واخيرا قال :
ــ حمدا لله ، انها فى أمان
انها فى أمان حقا ، ولـكن أين هى ؟!
انه لم يحفل بالاجابة على هذا السؤال وهو فى طريق العودة الى بيته ، وقلبه يرقص سرورا بين جنبيه
وما كاد يصل الى باب مسكنه حتى همس له خادمه البرت قائلا :
ــ ان مس كولمان فى انتظارك هنا يا سيدى
ــ دورا ؟ !
لقد كاد جيمى ان ينسى وجودها تماما لفرط بهجته بنجاة جوان وقال لها حين رآها جالسة بجانب المـكتب وعينـــاها تتألقان ببريق عجيب :
ــ ان جوان فى أمان يا دورا
ــ حمدا لله ، حمدا لله ، هل علمت شيئا جديدا ؟
ــ علمت أن بنيت هو تود هايدن ، وهو كوبى
ــ يسرنى أنك عرفت هذه الحقيقة بنفسك ، نعم ، انه تود هايدن
ولم تعترف بأكثر من هذا ، ولـكنها اردفت قائلة :
ــ جيمى ، هل تسمح لى بالمبيت هنا ؟
ــ تبيتين هنا ؟ اننى رجل أعزب ، ولا توجد فى مسكنى هـذا اية سيدة
ــ اذن هل تسمح لى بالجلوس فى مكانى هذا حتى الصباح ؟ الا تعرف يا جيمى ان تود يبحث عنى الآن ليقضى على ؟ انه يعتقـد انى أفشيت سره
وعندئذ قال جيمى بحماس :
ــ يمكنك ان تبيتى هنا بكل سرور طبعا ، وانى على اســتعداد لمواجهة اى احتمال هذه الليلة
ــ لان جوان فى أمان . أليس كذلك ؟
ــ نعم .. نعم ، انى لا انكر حبى لها
ولمـا أخبرها بالطريقة التى علم بها عن نجاة جوان قالت :

ـ اذن فلا شك انها فى نفس اليخت الذى أرسل منه كوليت المحامى رسالة الاستغاثة

فارتسمت الدهشة على وجه جيمى وقال :

ـ يخت ؟! اننى لم اجد يختا فى منطقة مارلو كلها

ـ لعل صاحبه أبحر به الى ساحل بحر المانش بالقرب من مدخل النهر . لاتنس أن كوليت قال ان السيارة انطلقت به ثلاث ساعات حتى وصلت الي اليخت الذى سجن فيه

فأسرع جيمى يقول :

ـ آه ، الم يذكر كوليت شيئا آخر ؟

ـ اعتقد انه اعترف لصاحب اليخت بكل شىء عن تود هايدن ، ولهذا كان ينوى الهرب الى الخارج فى سرعة وخفاء

وفجأة غيرت دورا موضوع الحديث ، فقالت :

ـ لسوف أقضى الليلة هنا جالسة اقرأ

ـ وسوف ابيت ليلتى فى فندق قريب

ـ لا لا ، أرجوك ، انى فى خطر .. خطر شديد

ـ أتعتقدين أن تود هايدن سيغير على مسكنى هذا ، الليلة ؟

ـ اننى واثقة تماما من انه سيحاول قتلى بأية وسيلة ، فأنا الآن الدليل الوحيد الحى على حقيقة أمره : ولقد قتل كولمان حين علم انه ذاهب معك للاعتراف بكل شىء ، وكذلك فعل مع باركر وكوليت ، انه يستخدم كاتم صوت لمسدسه

ـ اذا وعدتك بالسهر يا دورا ، فهل تنامين انت ؟

ـ لا لا ، اننى غير راغبة فى النوم . اذهب الى فراشك واسترح انت ، فان الارهاق يبدو عليك بوضوح

ثم التفتت الى ألبرت وأردفت قائلة :

ـ هل يصل سلم النجاة من الحريق الى هذا المسكن يا ألبرت ؟

ـ نعم ، انه جد قريب من نافذة غرفة نوم الكابتن

وفكرت دورا برهة ثم قالت :

ـ انه سيأتى فى تمام الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، فهذه هى الساعة التى يحرص على اقتحام المنازل فيها حتى أطلقنا عليه

« تود الساعة الثانية » ، فاذا لم يأت فى هذا الموعد ، فلن يأتى اطلاقا

وأعد جيمى مع البرت الترتيبات للمبيت ، فترك دورا ـ التى اصرت على عدم النوم فى غرفته الخاصة تركها تنـــام على أريكة مريحة بغرفة الجلوس ، وأعد ألبرت لنفسه أريكة أخرى للنوم فى الممر المؤدى الى باب المسكن ، وأما جيمى فقـد غير وضع سريره وجعله بعيدا عن النافذة المطلة على فناء العمارة

وفى منتصف الليل تماما أطفئت جميع انوار المسكن *فيمـا عدا مصباح صغير بغرفة الجلوس ، ورقد جيمى على فراشه وهو أشد ما يكون يقظـة وتحفزا ، لانه كان يؤمن فى قرارة نفسه ان الفتـاة ليست عابثة أو واهمة فى تحذيرها . وفيما كانت السـاعة تدق الثانية بعد منتصف الليل ، تنبه وأرهف السمع ، لا .. لا شىء ، ان السكون العميق يخيم على المسكن ، وان النافذة التى أزاح عنها الستائر قبل أن يرقد على الفراش ، لاتكشف عن شىء ، يبدو أن مخاوف الفتاة لم يكن لها أساس ..وفيما هو ينتهى الى هذا القرار ، اذا به يرى ظلا خفيفا يقع على زجاج النـافذة ، فمد يده وتناول مسدسه وجلس فى فراشه ينتظر

ومرت لحظة دون أن يحـدث شىء وبدأ جيمى يعتقـد أن الظل الذى رآه لم يكن غير وهم جسمته له الاعصـاب المتوترة ، ولـكنه قرر أخيرا أن ينهض ويتحرى الامر عندما رأى الزجاج يتحطم فجأة وينفذ منه شىء مستدير ويقع على الارض

وفى ومضة البرق أدرك جيمى ماحدث ، فأسرع متراجعـا الى الجانب الآخر من الفراش الملاصق للجدار وشد معه طرف الحشية ـ المرتبة ـ حيث غطى بها جسمه كله ، ولم يستغرق هذا كله ثوان معدودات انفجرت خلالها القنبلة التى ألقيت على الغرفة فى دوى رهيب اهتزت له جدران المسكن كله ، وتصاعدت معه رائحة البارود

ثم ساد الصمت والسكون مرة أخرى

ونهض جيمى من السرير الذى تحطمت احدى قوائمه ، وحاول أن يضىء مصباح الغرفة ، ولـكنه وجد التيار الـكهربائى مقطوعا عنها ، وما لبث البرت ان أقبل بمشعل زيتى ، هذا بينما كانت صيحات السكان المفزوعين والجيران ، وكل من سمع دوى الانفجار تتعالى خارج المسكن . وفتح ألبرت الباب وذكر للجميع ماحدث مؤكدا لهم ان احدا لم يصب بسوء ، وان الاضرار لم تتجاوز زجاج

جميع النوافذ التى تحطمت واحتراق جزء من سجادة غرفة النوم، وسقوط بعض الملاط عن الجدران

وقال جيمى لدورا بعد أن أفاق من ذهول الحادث :

ـ انها قنبلة من نوع الميلز وقد عرفت هذه الحقيقة من صوت ارتطامها بأرضيــة الغرفة ، فان الذين سمعوا هذا الصوت أثنــاء الحرب لاينسونه

وبينما كانت أجراس مركبة المطافىء تسمع من بعيد ، قالت دورا فى بطء لجيمى :

ـ انه لم يكن يبغى قتلك انت ، وانما كان يريد القضاء على أنا ، لقد اصبحت الآن فى حل من كل عهد أو وعد بالنسبة اليه

فقرر جيمى أن يضع الفتاة فى مأمن من محاولات المجرم المجنون، فطلب من مدير ادارة العمارة أن يعد لها مسكنا مؤقتا ، فقال المدير ان فى الطابق الثالث سكنا مفروشا خاليا لان ساكنــــه مسافر فى الخارج ، ولمــا اطمأن جيمى على الفتاة فى المسكن ، قال لهــا قبل أن ينصرف :

ـ مالم يزعجنا المجرم فى مساء الغد ، فانى أعتقــد أنك فى أمان هنا لمدة يوم أو يومين ، ولــكن تأكدى انى سأعمل منذ اللحظة على عدم تكرار ماحدث الليلة

فقالت الفتاة وهى تهز رأسها فى أسى :

ـ كان من الممكن ان يحدث لى اسوأ من هذا المصــــير لو أن تود هايدن احبنى ، لاننى فى هذه الحالة ماكنت لاتردد فى قتله

وأردفت تقول بعد برهة صمت :

ـ ان تود هايدن مجرم مراوغ خطير يا جيمى ، انه ممثل بارع ، ومدبر قدير للخطط الاجرامية ، وان له كثيرا من الاماكن التى يلجأ اليها كلما اشتد الخطر عليه

ـ هل تعرفين هذه الاماكن يادورا ؟

ـ نعم أعرفها ، ولــكن

ـ ولــكن ماذا يا دورا ؟ هل تريدين أن يفر من أيدينــا بالمليون من الجنيهات ؟!

ولشد ما كانت دهشة جيمى حين رأى الفتاة تضحك قائلة :

ـ ان المليون جنيه ليست معه

ـ مع من اذن ؟!

ـ مع ركس والتون

الفصل التاسع عشر

معركة اليخت

وقف بنيت ـ أو على الاصح ـ تود هايدن فى منعطف شارع ريجنت واشترى احدى صحف المساء ، ثم استأنف المسير الى ميدان بيكاديللى حتى دخل مطعما فاخرا . والواقع أن دورا لم تكن مبالغة حين قالت عنه انه ممثل بارع ، فان أحدا من الذين قرأوا الوصف المنشور مع صورته فى الصحف ماكان ليستطيع أن يجد وجها للشبه بين هذا الشاب الانيق المصقول الشعر ، الاسود السوالف ، المعنى بشاربه الصغير ، المزجج الحواجب ، وبين صورة المجرم المطلوب القبض عليه الذى وصفه رجال البوليس بأنه : « فى الثالثة والثلاثين ، أشيب الشعر ، غزير الحاجبين ، حليق الشارب »

وبعد أن قرأ المقال المنشور عنه ، طوى الصحيفة ، والقى بها تحت المائدة ، ثم طلب ألوانا مختارة من الطعام الشهى ، حتى اذا مافرغ منه على مهل ، غادر المطعم واستقل سيارة أجرة ، وطلب من سائقها ألا يقف الا حين يطلب منه الوقوف

وبعد أن مر بالسيارة ـ مرورا عابرا ـ على مخابئه الاربعة ، أدرك أن دورا أفشت سره تماما للبوليس ، لانه وجد بالقرب من كل مخبأ رجلين أو ثلاثة يتسكعون ، أو يتظاهرون ـ فى الحقيقة ـ بالتسكع ، ولكن تود هايدن لم يكن من البلاهة بحيث لا يعرف أنهم جميعا من رجال المباحث السرية

وابتسم هايدن لنفسه وهو فى سيارة الاجرة . ان هناك ، بالقرب من شارع ويجمور ، مخبأ خاصا به لا يعرف احد عنه شيئا ، فأمر السائق بالتوجه الى هذا الشارع ، وهناك ، فى نهايته ، ترجل من السيارة ونقد السائق أجره ، ثم انحرف الى منطقة خلوية فى جانب

منها مراب سيارة أجرة كان قد استأجره باسم مستعار.

حقا انه كان فى أشد الحاجة الى بعض الادوات والآلات الموجودة فى مخابئه الاخرى المراقبة ، ولكن لا بأس ، انه يستطيع ان يفرغ من مهمته الاخيرة بما لديه فى هذا المرأب

انه ليفتح الباب بمفتاحه الخاص ، ويدخل ويخلع سترته الانيقة ، ويرتدى المعطف الرسمى لسائقى سيارات التاكسى ، ويضع على رأسه قبعة السائقين ، ويطمئن على سلامة رخصة قيادة السيارة التاكسى التى يمتلكها ويضعها فى هذا المرأب ، ثم يخرج بالسيارة وينطلق بها فى سرعة معتدلة الى غرب لندن ، ويتجاوز ضاحية هامر سميث ثم بارنز ، متجها نحو منطقة ستاين .

ولما وصل اوقف السيارة بين مجموعة من الشجيرات ، ثم أطفأ انوارها ، وخلع معطف القيادة ، وارتدى سترته الانيقة ، ودس مسدسا ضخما تحت صديرينه ، ثم تلفت حوله فى حذر قبل أن يخرج من الدغل ليمضى سريعا على ضفة النهر فى طريقه الى مرساة مايدنهيد

وكان قد زار هذه المنطقة بعد ظهر اليوم وأصبح خبيرا بكل شبر من موقع اليخت ، كما عرف مكان المعبر الذى يمكنه ان يستغله للوصول الى اليخت الراسى فى الجانب الآخر من مصب النهر

وأعلنت الساعة انتصاف الليل دون ان يبدو اى مظهر من مظاهر الحياة على سطح اليخت ، وظل تود هايدن جالسا فى الظلام على ضفة النهر ، شاخصا الى اليخت بعينى الصائد المتربص للفريسة

وأدرك أخيرا أن اللحظة الحاسمة قد حانت ، وان عليه فى هذه المرة أن ينجح فى مهمته والا ضاع كل شىء

ونهض متحفزا ، وسار قليلا على ضفة النهر حتى وصل الى المعبر القائم فوق خور ، والمفضى الى الجانب الآخر من مصب النهر ، ولم يكن عليه الا أن يجتاز هذا المعبر ، ثم ينحرف الى ضفة من الخور تتكاثر فيها النباتات البرية حيث سبق ان أخفى فيها قاربا صغيرا بمجدافين

واستقل القارب ، ومضى به على صفحة الماء فى الظلام ، حتى لمس به جانب اليخت فى حذر شديد ، وبعد أن انتظر نحو خمس دقائق دون أن يسمع شيئا ، شد الزورق الى حلقة حديدية فى

اليخت ، ثم تسلقــه الى السطح المهجور ، واسترق الخطى وهو محنى القامة حتى وصل الى باب المدخل المؤدى الى مقصــورات اليخت . ولمـا فحص الباب ، وجده مغلقا برتاج بسيط ، فتناول مديته وعالج بها الرتاج ، فانفتح الباب ، وازداد هو انحناء ليسترق السمع ، حتى اذا اطمأن ، هبط على الدرجات الحديدية ، ثم سار متلصصا فى ممر مظلم حتى بلغ بابا ففتحــه فى حذر شــديد ، ثم دخل حين اطمأن الى السكون المخيم على كل شىء ، ووجد نفسه فى صالون فاخر ، ثم اذا هو يسمع همهمة حديث تنســـاب من مقصورة مجاورة ، فاقترب على أطراف أصابعه وأرهف السمع ، واذا هو يسمع صوت فتاة تتحدث الى شاب ، وابتسم فى نفســه وهو يشد على مسدسه فى يده ، ويدفع البــاب قليلا قليلا ، ثم يسترق الخطى الى مقصورة فاخرة أخرى جلس فيها شاب وفتاة على اريكة امام المدفأة ، وظهراهما الى الباب . وكان الشاب يقول :

ـ نعم نعم ، انه بنيت بكل تأكيد ، فقد عرفه من صوته خادمى الامين ويلز وهو يرفعك من الزورق الغارق الى اليخت ، والمهم الآن يا جوان ، هل عرف بنيت ان هذا اليخت ملكى ؟

وعندئذ قال تود هايدن كأنما يجيب على السؤال :

ـ نعم يا مستر والتون ، لقد عرف بنيت ، أو تود هايدن ، انك صاحب هذا اليخت ، ارفعا أيديكما الى أعلا .. فلم يعــد الامر يحتمل هزلا ولا رحمة

وأردف تود هايدن قائلا لركس والتون :

ـ اين اعوانك يا مستر والتون ؟

ـ على الشاطىء

ـ أرجو لمصلحتك ، أن يكونوا قد ذهبوا بأيد خالية ، فانى لن اتردد فى قتلك وقتل أختك اذا لم استولى على المليون جنيه حالا

فقال ركس :

ـ اعتقد انى اهملت فى الاحتياط لنفسى ، كان ينبغى أن أتوقع هذه الزيارة منك يا تود هايدن ، أين بقية اعوانك ؟

ـ فى الجحيم

ـ أعنى كولمان

ـ مات ، وكنت أتمنى لو استطيع أن اقول لك ان حبيبتك دورا

ماتت أيضا ، ولكن للاسف ، لم تمت ، ولا أدرى لماذا لم اقض عليها . انها زوجتك شرعا ، اليس كذلك ؟ أهنئك ، لقد استطعت ان تأسر قلبها وتجعلها فى جانبك منذ أن بدأت المؤامرة للحصول على أموالك . لقد أرادت أن تنفض يديها من الاشتراك فى المؤامرة منذ أن جعلتها تتعرف بك وتحاول أن تستولى على قلبك ليسهل علينا الاستيلاء على أموالك ، ولكن الامر انعكس وابت ان تستمر فى المؤامرة وان ظلت تسايرنا خوفا من بطشنا ، انها ليست قوية الشخصية ، وما كانت لتصلح للاشتراك معنا لولا انها ابنة احدى الاسر الكبيرة التى فقدت ثروتها على موائد القمار ، ولولا انها كانت أصلح فتاة فى متناول ايدينا للقيام بدور الحبيبة امامك ، حسنا ، لاداعى لهذا كله الآن المهم انى أريد المليون جنيه .. حالا

فقال ركس بوجه شديد الامتقاع :

ـ لن أسلم هذه الثروة لك مهما حاولت

ـ اذن سأطلق الرصاص أولا على أختك هذه ، وأنا لا اعرف التهديد الاجوف ، لقد اطلقت الرصاص حتى الآن على باركر وكوليت وكولمان ، قتلتهم جميعا من أجل هذه الثروة ، ولن أتردد لحظة فى القضاء عليك وعلى اختك ثم محاولة البحث بنفسى عن هذه الاموال ما رأيك ؟ لسوف اعد ثلاثا ... واحد ، اثنين ...

ـ حسنا حسنا ، لسوف اسلم المبلغ اليك ، تعال معى

ـ تقدم مع اختك امامى ، وحذار ان يخفض احدكما يده

وسار ركس والتون بجانب اخته من باب الى باب وفوهة مسدس تود هايدن ملتصقة بظهره ، واخيرا وصل الى مخزن اليخت حيث رأى تود هايدن صندوقى الخمر المعتقة ملقيين فى ركن المخزن ، فبرقت عيناه بالطمع ، وقال لركس واخته :

ـ ليحمل كل منكما صندوقا ويعود به الى غرفة الصالون

فقال ركس بصوت مرتعد :

ـ ان اختى لاتستطيع أن تحمل صندوقا

ـ دعها تحاول اذا أرادت الحياة

وانحنت جوان ـ فى صمت ـ على احد الصندوقين ، وراحت تزحزحه فى شىء من الجهد والمشقة حتى وصل الجميع الى غرفة الصالون حيث قال تود :

ــ افتح الصندوق الاول ، فانى أرى انكم قد عبثتم بغطائه
للصندوق فرفعه حيث بدت تحته رزم الاوراق المالية
من الخمــر الملفوفة فى أكسيــة من القش ، ثم مد يده الى قاع وهمى
للصندوق فرفعه حيث بدت تحته رزم الاوراق المالية

فقال تودهايدن وهو يتقدم وعيناه تبرقان فى رهبة :

ــ ليتراجع كل منكما الى الوراء ، وليرفع يديه الى أعلى

وانحنى بنفسه ، وعيناه لا تفارقان ركس وجوان ، وأخرج حزم الاوراق المالية الواحدة بعد الاخرى ، وراح يدسها فى كيس كبيرمن المطاط أخرجه من جيبه الداخلى.ولما كرر هذه العملية مع الصندوق الثانى، انتصب واقفا ، وربط فتحة الكيس الضخم الممتلىء بحزم الاوراق المالية ، وطوح به فوق كتفه ، ثم قال وهو يبتسم ساخرا :

ــ والآن ، لم تبق الاالخطوة الاخيرة وينفض تودهايدنالشرير يديه من كل شىء

فقال ركس بصوت ثابت النبرات :

ــهل تعنى أنك ستطلق الرصاص علينا ؟! حسنا ، لعلكلاتعرف أن أحد أعوانك قد سجل اعترافاته ووقع عليها ، وسلمها الى

ــ من تعنى ؟

ــ لوفورد كوليت ، ان فى هــــذه الاعترافات من الادلة ما يكفى لصدور حكم الاعدام عليك

فارتسمت ابتسامة خبيثة على وجه تودهايدن وهو يقول :

ــ اذن يجب ان تسلمنى هذه الاعترافات ، هذا اذا لم تكن كاذبا

ــ كاذب ؟ هه .. هذه هى الاعترافات

ثم مد ركس يده الى مقبض درج مثبت فى الجدار وما كاد يجذبه حتى انطفأت أنوار اليخت كلها ، وفى نفس الوقت كان يهمس لأخته:

ــ انبطحى على الارض ياجوان بسرعة

ودوت فى جوانب الغرفة طلقات نارية متتابعة ، ولكن جوان كانت تزحف على يديها وركبتيها بعيداً عن مرمى الرصاص ، ثم اذا هى تسمع صوت احتدام المعركة اليدوية الدائرة بين اخيها وبين المجرم. فقد استــطاع ركس أن يباغت تود هايدن لأول مرة ، وأن يلقى به الى الارض ، وأن يجثم فوقه بعد أن قبض بيدين من حديد على عنقه ووضع ركبته على يده الممسكة بالمسدس

ولكن قوة هايدن الجثمانية كانت هائلة ، وسرعان ما استطاع أن يتخلص من ركس ، وأن يوجه الى وجهه لكمة عنيفة ، ثم يتحسس بيديه أرض الغرفة باحثا عن المسدس ، وعندئذ همست جوان فى ضراعة الى أخيها ، واذا هما ينطلقان من الغرفة بسرعة بالغة ويغلقان بابها من الخارج ، واندفع تودهايدن كالمجنون الى الباب وراح يضرب عليه بيديه ، وأخيرا أخذ يتحسس الجدران حتى عثر على المفتاح الكهربائى ، فأضاء الانوار ، وتلفت حوله بأنفاس لاهثة وقد أدرك ان ركس لاذ بغرفته الخاصة حيث يستطيع ان يحمى نفسه واخته

ورأى تود ألا يضيع الوقت فى التفكير ، فاختطف كيس النقود، واندفع الى باب الغرفة الآخر ، وانطلق فى الممر الى سطح اليخت ، ولكنه فوجىء وهو يهم بالهبوط الى قاربه ، بركس يقول له :

ــ ارفع يديك ياتود والا حطمت رأسك بالرصاص

ورفع تود يديه ، ولكنه فى لمح البرق ، اختطف الهراوة المطاطية التى يخبئها دائما فى ملابسه على طول عموده الفقرى ، وأهوى بها على رأس ركس فسقط مغشيا عليه

ثم استدار تود وحمل كيس المال ، ووثب الى قاربه ، وفك رباطه ، وهرع به الى الشاطىء ، ثم اجتاز المعبر ، واندفع يجرى الى حيث ترك سيارته الاجرة ، ففتح بابها الخلفى وألقى بكيس المال، ثم خلع سترته، وارتدى معطف القيادة ، وتراجع بالسيارة فى براعة ، ثم أدار وجهتها الى الطريق العام ، وما هى غير دقائق حتى كان فى طريق العودة الى المرأب والساعة تدق الواحدة بعد منتصف الليل

ودقت الساعة الثانية وهو يفتح باب المرأب ، ويدخل السيارة ، ثم يقول لنفسه وهو يمد يده الى مقبض بابها الخلفى ليحمل كيس المال ... المليون جنيه :

ــ لقد نجحت أخيرا ، فى آخر لحظة

وسرعان ما تسمر فى مكانه من فرط الدهشة والفزع ، ثم لم يلبث أن رفع يديه الى أعلى حين رأى جيمى سيبنج يهبط من المقعد الخلفى وهو يصوب مسدسه الى رأس المجرم قائلا :

ــ كلا ياهايدن ، انك لم تنجح ، لأن عمر الشر قصير مهما طال به الامد

الفصل العشرون

قبلات .. ودموع .. وابتسام

قال جيمى للمجرم هايدن وهو يضع القيد الحديدى فى يديه :

– اننى لا أزعم لنفسى فضل القبض عليك ، ان الفضل كله يرجع الى نيبى كاولز ، هلم الى اسكتلنديارد

ثم استدار الى المفتش ديكر الذى كان واقفا مع لفيف من رجال المباحث بالقرب من المرأب وكأنما انشقت الارض عنهم :

– هـذا هو كوبى يا كابتن ديكر .. كوبى .. أو هايدن .. أو بنيت

وسيق المجرم الخطير الى السجن

وبعد ظهر ذلك اليوم ، جلس ركس والتـون فى غرفـة مكتبـه بمنزله يتحدث الى جيمى وديكر ، وجوان ، ونيبى كاولز عن قصـة المليون الضائع ، فقال :

– لقد عرفت كولمان بعد وفاة المسكينة ايدى – خطيبتى الاولى – بشهرين ، وكنت أظن – كما ظننتم جميعـا – أنه من كبار موظفى وزارة المالية ، فقد كان مظهره والجو الذى يحيط به ، يدلان على أنه رجل خطير المركز موفور الثراء ودعانى الى منزله الكبير بضع مرات لتناول العشاء ، وهكذا تعرفت بدورا – التى كنت أحسبها مثلكم – ابنته الوحيـــدة . وأحببتها ، وبادلتنى الحب ، وانى حتى اليـــوم لأشعر نحوها – رغم اتصالها بهذه العصابة ، ورغم دورها فيها – بالأسى وبعرفان الجميل ، لأنها غامرت بحياتها لانقاذ أختى جوان ، ولأنها ظلت تخفى عن أفراد العصابة سر اختفائى المفاجىء

وأشعل ركس سيجارا فاخرا ثم استطرد يقول :

ــ وكنت اسمع عن كوبى ، المجرم الحقير الذى يبتز المال من ضحاياه عن طريق التهديد بالفضائح ، كما يسمع عنه أى مواطن آخر ، ولم يخطر ببالى يوما أننى سألفت نظره أو أثير اهتمامه حتى انتحرت ايدى ــ خطيبتى الاولى ــ بسببه

ومضت شهور طوال دون أن أتلقى منه رسائل تهديدية ، ويبدو أن العصابة كانت تهدف الى تجريدى من أموالى كلها ، لا من بضعة آلاف من الجنيهات فقط . ولكن هذه الرسائل بدأت أخيرا تصلنى ، ولم يكن فيها تهديد لى بالكشف عن أسرارى ، لأنه لم يكن لى أسرار أخجل منها ، وانما كان فيها تهديد بتجريدى من أموالى اذا أنا تزوجت بحبيبتى دورا كولمان

وقد وضح لنا الآن أن الهدف من هذه الرسائل كان مزدوجا ، فقد هدفوا أولا الى اثارة عنادى ــ كرجل يحترم نفسه ــ للمضى فى الزواج من دورا . فليس هناك انسان مهذب ، ترى ، يحترم نفسه ، يقبل أن يتخلى عن الزواج بالفتاة التى يحبها أمام رسائل تهديدية كهذه ، وقد هدفوا ــ ثانيا ــ الى اثارة القلق والخوف فى نفسى على ثروتى وقد نجحوا فى كلا الهدفين : فاذا أنا أزداد حبا لدورا واصرارا على الزواج بها ، واذا أنا أشعر بقلق خفى على مصير أموالى ، وأستشير كولمان فيما ينبغى أن أفعل ، فما كان منه الا أن أيد مخاوفى ، وراح يقص على أعجب الاحاديث عن الوسائل التى تلجأ اليها وزارة المالية لاخفاء أموالها الضخمة فى حالة الحروب ، فقال لى ان المسئولين الكبار يخفون الملايين من الجنيهات فى منازل بسيطة لا يخطر ببال أحد أن لها علاقة بالوزارة ، وأنهم يستخدمون الصناديق القديمة لا سيما صناديق الخمر ذات القيعان المزدوجة ــ لاخفاء بعض المستندات والاموال ، وكان كولمان شريكاً لهايدن وآلة مسخرة فى يده

وقد نجحت خطتهما فى اغرائى بسحب أموالى من البنك ، ولعلكم ستحسبوننى بطلا فى الغباء والحماقة والغفلة ، ولكن المعروف أن الانسان الذى يقع ضحية لمحتال ذكى ، انما يقع بسهولة بسبب جو الثقة الذى ينشره هذا المحتال حوله . فأنا قد أحببت دورا ، وهى عضو أيضا فى العصابة ، فكيف يخطر ببالى ، أو ببال أى انسان فى مكانى ، أن هذين الاثنين يحتالان على ؟ !

ولكنى أذكر ، لوجه الحقيقة أن دورا لم تحاول يوما أن تشير

علىّ بما يفيد العصابة ، والواقع أنها كانت تحـذرني فقط دون أن تفشي سر شركائها .. كانت تطلب مني ان اكون على حذر

وسحبت أموالى كلها من البنك بعد أن حولتها الىدولارات أمريكية وسلمت المبلغ الى المستر كولمان ـ بعدأن استكتبته ايصالا بالاستلام مختوما بخاتم وزارة المالية ، ليخفيه في أحد المخابىء التى تستغلها الوزارة لاخفاء أموالها ، ولا شك أنه كموظف فى الوزارة قـد عرف كيف يحصل على ايصال بخاتم مزيف

وظلت رسائل التهديد تصلني ـ ذرا للرماد فيعيني ـ بعدسحب المبلغ وتسليمه لكولمان ، ولهذا قررت أن أتم زواجي رسـميا بدورا قبل اليوم المحدد للزواج ، ثم أعيد تسجيله فى اليوم المحدد ، وقد اتخذت هذا الاجراء بدافع الخوف والحرص عليها

وفي صباح يوم الزواج الرسمي ، وصلت الى منزل كولمان ومعي هدية الزواج .. السوار الماسى ، وطلبت من باركر ـ الساقى ـ أن يذكرني فى الساعة العاشرة وذلك لكى أتسلل الى غرفة دورا وأدس الهدية في حقيبتها لتكون مفاجأة لها ، وصـعدت فى الموعد المحدد الى غرفتها وأنا آمل أن أجـد حقيبتها أو أى شيء يخصها من أمتعـة السفر مفتوحا ، ووجدت حقيبـة الملابس الخفيفـة على سريرها . مفتوحة ، فرفعت غطاءها ، ودسست علبة السوارتحت ثوب حريري . وفيما أنا أفعل ، لمست أصابعي مظروفا ، فتناولته ، فاذا هوخطاب مفتوح معنون باسمي ، فترددت برهة ، ولكن الفضول غلبنى على أمرى ، فتناولت منه الرسالة ، فاذا هي مرفقة برسالة أخرى . أما الرسالة الموجهة الى ، فكانت كما يلى :

« لقد تزوجت دورا ، وأودعت أموالك عند كولمان ، ولكن خزائن الارض كلها لن تستعصى على أيدينا ووسـائلنا .. لسـوف نظفر بأموالك الليلة »

أما الرسالة الاخرى المرفقة بها ، فكانت كما يلى :

« عليك يادورا أن تضعى الرسالة الموجهة الى ركس تحت وسادته الليلة ، وسوف تنتظرك سيارة لتأخـذك الى بودابست عن طـريق هارويش . وسوف نظل مراقبين ركس حتى تهدأ الضجة ، فاذا رأينا منه خطرا يهددنا ، فسوف نقضى عليه »

وأدركت فور قراءتى لهـاتين الرسالتين أنى وقعت فى مخـالب

عصابة رهيبة ، جردتني فعلا من كل أمـوالى ، وكان أول ما خطـر ببالى أن أعود الى كولمان وأعوانه وأثيرها فضيحـة مدوية ، ولـكنى تذكرت أننى لا أملك أى دليل مادى على ادانتـه ، فالايصـال الذى أخذته عليه كان موضوعا فى درج مكتبى حقا ، داخل مظروف أزرق، ولكن من يؤكد لى أنهم لم يعبثوا بالدرج ويظفروا بالايصال ؟

وادركت أخيرا أن العصابة لن تسمح لى باسترداد أموالى بسهولة أو عن طريق رجال البوليس ، ولهذا قررت فورا أن أختفى وأن أسعى بنفسى لاسترداد أموالى ، فتسللت خارج المنزل من الباب الخارجى وقد قررت — قبل أن ألتقى مصادفة بخادمى الامين ويليـام ويلز ، ماذا ينبغى أن أفعل ، فقد كنت أعددت — سرا — يختا فاخرا لقضاء شهر العسل فيه مع دورا ، وكنت دائما مشغوفا بالرحلات النهرية

وعندئذ قطع جيمى عليه الحديث قائلا :

— هل كنت فى احدى هذه الرحلات عند ما رآك خادمى ألبرت فى العام الماضى بوجه أشعث ، وبملابس رثة ، جالسا على ضفة النهر ؟

— نعم ، وقد أسرعت بالهرب منه حتى لايعرف أحد عنى هوايتى هذه النهرية .. أما يختى الجـديد ، فقد أسـميته « دورا » وزودته بجهاز للارسال اللاسلكى بعد استصدار تصريح من الجهات المختصة. وأعتقد أنى لم أكن بكامل عقلى حـين قررت الاختفاء ، ولكن هـذا ما طرأ على بالى فى تلك اللحظات العصيبة ، وقـد حاولت فى أول فرصة ممكنة أن أتصل بجوان تليفونيا لأطمئنها على نفسى، ولأطلب منها الاحتفاظ بالايصال ، ولكننى وجدت أسلاك تليفونها مقطوعة ، وأهملت هذا الامر حتى استحثنى ويلز لـكى أتصل بك يا جيمى تليفونيا . ولكنك وصلت متأخرا، اذ احترق الايصال بالمادة الكيميائية التى دسها ولا شك أحد أعوان كولمان لكى تحترق فى موعد معين ، وكانت محاولتى الاولى لاقتحام منزل كولمان

— اذن فقد كنت أنت هو اللص الاول الذى أفزع باركر ؟

— نعم ، وقـد فشلت فى هذه المحاولة الاولى وكـدت أن أقع فى أيديهم ، ولـكن نيبى كاولز ، الذى شرحت له الامر كله ، نجح فى المحاولة الثانية ، وظفر بصندوقى الخمر المحتويين على الاموال كلها

— وكيف علمت بأمر الصندوقين ؟

— كانت دورا — فى لحظة سهو — قد ذكرت لى شـيئا عن المخزن

السرى الملحق بقبو الخمور ، وأدركت من اضطرابها ومحاولتها تغيير موضوع الحديث أن هذا المخزن السرى يستخدم لأغراض خاصة لا تحب الاسرة أن يعرف أحد عنها شيئا • ولما وجدت زجاجات الخمر في الصندوق ، ظننت أني فشلت في استرداد المال ، ولكن نيبى كاولز أصر على تحطيم القاع الاول ، وهو يعتقد أنه قاع وهمى لاخفاء شيء تحته ، وقد استطعنا الخروج بالصندوقين من المنزل دون أن يرانا أحد

ـ لقد أسرت كوليت المحامى ، ولكنه قال ان السيارة التى أسرته ظلت تسير به نحو ثلاث ساعات حتى وصلت الى اليخت مع أن المسافة من لندن الى اليخت لا تزيد عن ثلثى ساعة بالسيارة

ـ أردت أن أضلله عن المكان الحقيقى لليخت ، فجعلت السيارة تلف وتدور فى المنطقة قبل وصولها ، ولما رآنى أدخل عليه ، ركبه الفزع الشديد وأدرك أن نهايته قد أوشكت ، ولما فشلت محاولته فى الاتصال لاسلكيا بالعالم الخارجى ، لم يجد بدا من الاعتراف بكل شيء ، والتوقيع كتابة على اعترافاته • وقد ذكر أنه كان على شفا الافلاس ، وأنه تلاعب بأموال أحد موكليه عندما التقطه كولمان وقدم اليه ما يحتاج من مال ثم ضمه الى العصابة

أما جوان ، فقد أنقذتها بمحض الصدفة أثناء هربها من هايدن فى الزورق البخارى وكنت مع كاولز مشغولين حينئذ فى سرقة صندوقى الخمر من منزل كولمان ، وهكذا كان ويلز هو الذى أنقذها • وقد فوجيء هايدن ومساعده بهذا الانقاذ ، ولكنه علم فى الوقت نفسه بالمكان الذى أختبيء فيه

واذا تركنا جيمى يفاتح جوان فى الزواج ، ويتلقى منها الرد بالقبول على شكل قبلة متبادلة كلها السعادة والرضى ، فاننا نجد دورا جالسة فى المسكن المؤقت الذى وضعه جيمى تحت أمرها، وبين يديها كتاب لا تقرأ فيه ، وانما تنظر فى ذهول الى حركة المرور ، وكانت مستغرقة فى أفكارها بحيث لا تكاد ترى أو تسمع شيئا

وسمعت الباب يفتح وراءها برفق ، فقالت دون أن تلتفت :

ـ لست فى حاجة الى شيء يا ألبرت

ولكنها لم تلبث ان انتفضت واقفة حين سمعت من يقول لها :

ـ اننى لست ألبرت

وتقدم ركس والتون يبطء وهو لايدرى ماذا يقول ، واخيرا قال :
ـ قرر جيمى أن يخرجك من هذه القضية بعد أن مات هايدن
ـ مات ؟!
ـ انتحر فى زنزانته
وارتعدت أصابعها ، ونظرت اليه فى ذلة ، ثم قالت :
ـ اذن أستطيع أن أمضى أنا الحالى وأعتقد أنك ستتخذ الاجراءات لطلاقى لاننا متزوجان رسميا ، اليس كذلك ؟
ثم أردفت قائلة وهى تبتسم فى شحوب :
ـ اننى آسفة يا ركس
ـ آسفة لمن ؟ ولم ؟
ـ لك ... ولى . آسفة لأنى آلمتك كثيرا ، وآلمت أختك التى أكن لها كل الحب . اننى آسفة ، وأشد أسفى من اجلك ، فهل تغفر لى ؟
ثم بسطت يديها اليه ، فأخذهما بين يديه واستطردت وهى تقول :
ـ اننى لا أدرى كيف ستخرجوننى من هذه القضية الا اذا هربت . نعم ، يجب أن أهرب يا ركس
ـ الى أين ؟
فهزت راسها قائلة :
ـ الى حيث لا أدرى ، ربما الى فيينا ، بودابست ، ان لدى القليل من المال ، مال حلال ورثته عن اسرتى ، ولكنك لن تصدقنى طبعا
وخيم الصمت برهة عليهما ، وأخيرا قال ركس :
ـ ربما كان سفرك الى الخارج هو الحل الوحيد ، ولكن عليك أن تتركى لى عنوانك حتى ألحق بك بعد أن تنتهى جلسات التحقيق المبدئى ، وعندئذ نبدأ الحياة من المكان الذى انتهينا معا اليه ، أعنى من باب مكتب تسجيل الزواج فى ضاحية شلسيا
فارتعدت شفتاها ، وأطرقت برأسها ، ثم تمتمت هامسة :
ـ هل تعنى ما تقول حقا ؟
وأجاب ركس عليها بأن أخذها بين ذراعيه ، وقبلها بشوق وحرارة ولم لا ، أليست زوجته ؟

انتهت

اشترك فى روايات الهلال

(أسعار الاشتراك على الصفحة الثانية من الغلاف)

وكلاء روايات الهلال

سوريا ولبنان : شركة فرج الله للمطبـــوعات ـ مركزها الرئيسى بطريق الملــكى المتفــرع من شارع بيكو فى بيروت صـــــندوق بريد ١٠١٢ (الاعداد ترســـل بالطائرة)

العـــراق : السيد محمود حلمى ـ المكتبة العصرية ـ بغداد

اللاذقيـــة : السيد نخله سكاف

جــــــده : السيد هاشم بن على نحاس ـ ص.ب ٤٩٣

البحـــرين : السيد مؤيد احمد المؤيد . مكتبة المؤيد

البـــرازيل : Dr. Michel H. Thomé, Pateo Do Colegio, N° 3, 3° Andar, Sala 9, Sao Paolo, Brasil.

غانـــا : Mr. Joseph Hassan,
The Cine Travel Co,
P.O.Box 1883,
ACCRA, GHANA



الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة ، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل وسيطرة العادة ، والتبجيل المفرط لمفكري الماضي
إن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

حصريات مجلة الابتسامة
** شهر يوليو 2018 **
www.ibtesamah.com/vb

التعليم ليس استعداداً للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي

روايات الهلال
مجلة شهرية لنشر القصص العالمي

هذه الرواية

هذه الرواية التى يسر سلسلة روايات الهلال أن تقدمها هذا الشهر رواية بوليسية لاحاجة بنا الى تقريظها فحسبها انها من تأليف ادجار والاس الذى يعد من أعظم كتاب الروايات البوليسية فى القرن العشرين . انها قصة عصابة رهيبة دأبت على ابتزاز الاموال من بعض الضحايا الذين يقع عليهم اختيار العصابة ، عن طريق التهديد بالفضائح والكشف عن الاسرار الخاصة ، وكان بعض الضحايا يؤثرون الانتحار عند عجزهم عن دفع الاموال المطلوبة . واخيرا وجهت العصابة ضرباتها القاصمة الى شاب ورث عن والده مليونا من الجنيهات . واختفى المليون ، واختفى معه شخصيات عديدة فى ظروف غامضة مثيرة . وتتوالى الحوادث بسرعة ،بعضها فى أثر بعض ، وينتقل المؤلف بالقارىء من حادث مثير الى حادث آخر أكثر اثارة حتى لايسع القارىء الا أن يظل يطالع الرواية حتى نهايتها ، ولا يهدأ له بال حتى يعرف من هو ذلك المجرم العنيد

وتمتاز هذه الرواية بما ابداه المؤلف من قدرة فذة ، فهو يضع الحوادث أمام القارىء ويبسطها دون أن يخفى منها شيئا ، والقارىء يحاول جاهدا أن يعرف المجرم قبل الانتهاء من الرواية . انها مباراة شيقة بين المؤلف والقارىء

المؤلف

ادجار والاس كاتب قصصى زعم كتابة الروايات البوليسية بعد آرثر كونان دويل فى اللغة الانجليزية ، وقد اشتهر والاس بانتاجه لغزير الى حد انه يصعب حصر ما ألفه من القصص القصيرة والروايات البوليسية الطويلة

أما شهرته العجيبة ففى سرعة وضع القصة فقد كان تمها فى وقت يعد رقما ياسيا فى سرعة التأليف وكان من عادته أن يملى على سكرتيره وهو يذرع الغرفة جيئة وذهابا ، ثم لما رأى أن سكرتيره لا يتابعه فى سرعة تى بجهاز «ريكوردر» ليسجل ليه فصول الرواية بالسرعة طلوبة وعلى السكرتير بعد لك نقله الى الورق !



المليون الضائع